دور السنة النبوية في تنمية مهارات المرأة

د.مشعل بن محمد الحداري
مدرس في قسم التفسير والحديث، جامعة الكويت ندبًا،
موجه فني أول في دور القرآن الكريم ،
وزارة الأوقاف. دولة الكويت

ملخص البحث :

يسلط البحث الضوء على أهمية بيان الرعاية النبوية لدور المرأة المسلمة المنشود في تنمية المهارات في العصر النبوي. مما يستدعي التعريف بمفردات البحث، وذكر الأمثلة التي تعبر عن موضوعه، وذلك من خلال تمهيد وأربعة محاور، أما التمهيد ففيه بيان أهمية الموضوع، ومنهجية البحث، وخطته، وتعريف مفردات عنوانه. وجاء المحور الأول حول المرأة والعلم. والثاني عن المرأة وإدارة الذات. والثالث عن المرأة ونقل الخبرات. والرابع عن المرأة وتنشئة الأولاد وتربيتهم.

ومن نتائج البحث أهمية تهيئة المرأة المسلمة المعاصرة لتتبوأ مترلتها المستحقة في العصر الحاضر؛ لتقوم بواجبها – الشرعي والإنساني – الذي يحقق نهضة الأمة بأسرها معتمدًا على أصالة ماضيها، وحث المرأة على إكتساب وتنمية المهارات الحياتية والخبرات اللازمة للقيام بدورها الحيوي، ومن ثم نقلها للآخرين، وأن السنة النبوية اعتنت بتعليم المرأة، وشجعتها على ممارسة دورها في نشر العلم، كما هيأتها لإدارة ذاتها وذوات الآخرين، وهيأتها للتفاعل مع دورها الأساسي في تنشئة الأولاد، وتقديم الدعم للآخرين.

ومن أهم التوصيات التي جاء بها البحث مواصلة البحث العلمي الإستشرافي لدور المرأة في تحقيق النهضة الفكرية والعملية للأمة المعاصرة، مع ضرورة تفعيل دور المرأة كما جاء في الوحيين، وتمكين الأمة من الإفادة من طاقات أفرادها الكامنة.

الكلمات المفتاحية: المرأة المسلمة، تنمية المهارات، السنة النبوية، التعليم، إدارة الذات، نقل الخبرات.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين. أما بعد ،،،

فقد جاء الأمر النبوي الكريم للرجال جميعًا بالعناية بالمرأة، وإرادة وفعل الخير لها ، كما في قوله – ﷺ – : (**اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا**)[1] . وأرشد – ﷺ – إلى الرفق بها؛ لضعفها، وحاجتها للمراعاة، فعن أبي قلابة، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – ، قال : "أتى النبي – ﷺ – على بعض نسائه – ومعهن أم

سليم – في سفر، وغلام له يحدو، فقال: (**وَيْحَكَ يا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**). قال أبو قلابة مبينا ما يجده بعض الرجال من الأنفة من لين اللفظ في حقها: "فتكلم النبي – ﷺ – بكلمة، لو تكلم بها بعضكم، لعبتموها عليه، قوله: (**سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**)"(٢) . وبين – ﷺ – سببًا للرفق بها عندما قال: (**اسْتَوصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ**)(٣).

والمرأة شقيقة الرجل، وهي نصف المجتمع، ومسؤولة عن نشأة ورعاية نصفه الآخر، وهي كالرجل مكلفة بجل الأحكام الشرعية من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات. وقد نص القرآن الكريم على استواء أجر المرأة مع الرجل في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ **فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ** ﴾ (آل عمران: ١٩٥)(٤). وقيمة المرأة والرجل تكمن في عملهما الصالح، وبعدهما عن الذنوب. فالمرأة لا تقل عن الرجل في تقدير عملها وتعظيم الدور المنوط بها، كيف وهي تختص بأمور لا يستطيع الرجل الإنفراد بها، كتنمية مهارات الناشئة، وقدرات بنات جنسها .. إلخ.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية موضوع البحث فيما يلي:

١. أهمية مفردات البحث، فالمرأة نصف المجتمع، وهي المشرفة على إعداد النصف الآخر، والتنمية حاجة مستمرة، لا تنفك عن المجتمع، والمهارات أدوات حياة، لا حياة للمجموع بدونها.

٢. الحاجة الماسة لمسايرة مستجدات المعرفة، وتلبية حاجة المجتمع المسلم منها.

٣. ضرورة إعادة انتاج المعارف الإسلامية، وإبراز مكانة السنة النبوية، ودورها في تطوير المجتمع في كل زمان ومكان، وابراز دور المرأة المنشود في ضوء ذلك.

منهج البحث:

اتبع البحث أصول البحث العلمي في الدراسات الإسلامية، في التوثيق والعزو، كما قام باختيار النصوص التي ثبتت نسبتها للجناب النبوي، ومهد لها بمقدمات تعريفية توضح جوانب الموضوع وأبعاده، وعرض لهذه الموضوعات وما اشتملت عليه من معارف وعلم بطريقة ميسرة، تسهل الانتفاع بها لمختلف طبقات المجتمع.

خطة البحث:

جاء البحث في تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. أما التمهيد ففيه توضيح معنى تنمية المهارات، وبيان أهمية الموضوع، وذكر منهج البحث.

وأما المباحث الأربعة فجاءت كالتالي:

المبحث الأول: المرأة والعلم. وفيه مطلبان:

الأول في عناية السنة النبوية بتعليم المرأة، **والثاني** في دورها في نشر العلم.

المبحث الثاني: المرأة وإدارة الذات. وفيه مطلبان:

الأول في تهيئتها لإدارة ذاتها، **والثاني** في دورها في إدارة الذات.

المبحث الثالث: المرأة ونقل الخبرات. وفيه مطلبان:

الأول في دور السنة النبوية في حثها على اكتساب الخبرات، **والثاني** في دورها في نقل الخبرات.

المبحث الرابع: المرأة وتنشئة الأولاد وتربيتهم. وفيه مطلبان:

الأول في دور السنة النبوية في تهيئة المرأة للتربية الراشدة، **والثاني** في دورها في تنشئة الأولاد وتربيتهم.

ثم جاءت الخاتمة لتبرز أهم النتائج التي ظهرت خلال البحث والتنقيب، وتقدم مجموعة من أهم التوصيات التي توصل لها البحث.

تمهيد: وقبل أن نخوض غمار البحث نعرف بمفردات عنوانه كما يلي:

المراد بتنمية المهارات:

تنمية المهارات مركب إضافي من كلمتي "تنمية" و"المهارات"، ولتوضيح معناها لا بد من توضيح معنى كل مفردة منها في اللغة والاصطلاح، ثم ندلف لبيان المعنى المركب بعد ذلك.

معنى التنمية:

التنمية **في اللغة:** من النمو والزيادة، قال ابن فارس: "الزاء والراء والعين: أصلٌ يدلُّ على تنمية الشيء. فالزّرع معروف، ومكانه المُزْدَرَع. وقال الخليل: أصل الزّرع التنمية"(٥). و"الزرع: التنمية، يقال: زرع الله تعالى الطفل: أي أنبته، وأنماه"(٦). فالتنمية هنا تعني: الزيادة، والنماء، والعناية بذلك.

أما **في الاصطلاح:** فقد تعددت التعاريف وتنوعت تبعًا لمقاصد من عرفها، ومن أفضل التعاريف من المنظور الإسلامي قول أنها: "عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن، وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقيقاً لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيداً عن أيّ نوع من أنواع التبعية"(٧).

ويمكن اختصاره بقولنا: هي عملية التطوير المستمرة للإمكانات المتاحة للفرد في سبيل تقوية أداء الأمة للقيام بدور الاستخلاف الرباني في الأرض.

معنى المهارة:

المهارة **في اللغة:** يقال: مَهَرَ في العلم وغيره، يَمْهَرُ بفتحتين مُهُورًا وَمَهَارَةً، فهو مَاهِرٌ: أي حاذق عالم بذلك، وَمَهَرَ في صناعته، وَمَهَرَ بها، وَمَهَرَهَا: أتقنها معرفةً(٨).

فالمهارة ليست مجرد أداء العمل، بل هي متضمنة للعلم بتفاصيله، وإتقان انجازه، والحذق في أدائه.

أما **في الاصطلاح** التربوي، فتتعدد التعريفات باعتبار جهة التعريف التي يُدخل بها لموضوع ما، ويمكن القول أنها في سياق هذه الورقة أنها: القيام بالأعمال بسهولة ودقة، مع مراعاة الظروف القائمة وغيرها.

وبناء على هذه التعريفات **فتنمية المهارات** هي عملية التطوير المستمرة للأعمال التي يمكن أن يقوم بها الفرد أو المجتمع عن طريق الاكتساب، بسهولة ويسر، بهدف زيادة المعرفة أو الإنتاجية، وفق مقاصد الشرع.

المبحث الأول: المرأة والعلم

العلم حياة للنفس، وغذاء للروح، به يعرف المكلف ربه، وبه يسعد في حياته، ويرجو حسن عاقبته بعد وفاته، يرفع الله به الجهل، ويثبت فيه الأجر، ويحط به الوزر. وحاجة المرأة له كحاجة الرجل، بل لها منه خصائص وأفراد. وللسنة النبوية منه قدح معلى، وشرف ثابت، وهذا ما سيبينه المطلب التالي.

المطلب الأول: عناية السنة النبوية بتعليم المرأة

اهتمت السنة النبوية بتعليم المرأة ما ينفعها، وإكسابها المهارات التي تمكنها من نقلها كخبرات لغيرها. وكان النبي – ﷺ – من أحرص الناس على تعليم المرأة، سواء كن: من أهله كزوجاته، أو بناته، أو ربائبه، أو نحوهن، أو من سائر نساء المسلمين. ونكتفي هنا بالإشارة إلى شيء من ذلك للدلالة على بقيته.

فمن الصور التي تدل على هذه العناية ما يلي:

١. **تخصيص يوم لتعليمها:** فلهن أن يطالبن بيوم يخصص لتعليمهن، فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: جاءت امرأة إلى رسول الله – ﷺ – فقالت: "يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك – وفي رواية: "غلبنا عليك الرجال"(٩) – ، فاجعل لنا من نفسك يوماً، نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله" . فقال: (**اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا**). فاجتمعن، فأتاهن رسول الله – ﷺ – ، فعلمهن مما علمه الله(١٠). فاستجابته – ﷺ – لطلبهن كما أنه يدل على مشروعيته، يدل على أنه من أولوياته – ﷺ – ؛ حيث جعل له موعدًا ثابتًا، وفي مكان محدد؛ وبهذا حفظ وقته ووقتهن.

٢. **وعظ الإمام لها:** ومن حقوق النساء على الإمام أن يعظهن، كما يعظ الرجال، فعن جابر بن عبد الله – ﷺ – قال: قام النبي – ﷺ – يوم الفطر فصلى، فبدأ بالصلاة، ثم خطب فلما فرغ نزل، فأتى النساء فذكرهن – وهو يتوكأ على يد بلال – ، وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة. قال ابن جريج لعطاء – وكلاهما من راوة هذا الحديث – : "أترى حقاً على الإمام ذلك يُذكرهن؟ قال : "إنه لحق عليهم، ومالهم لا يفعلونه!"[١١] . فالموعظة من العلم الذي يجب بثه في الرجال والنساء، وحاجة الناس إليه متجددة.

٣. **الحث على تعليمها ما ينفعها:** حثت السنة النبوية على تعليم المرأة – سواء كانت حرة أم أمة – ، فقد قال رسول الله – ﷺ – : (**ثَلاثَةٌ لَهُمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ**– ﷺ – ، **وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أدَّى حَقَّ الله، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ**)[١٢] . فالأدب[١٣] والعلم أهم شقي الرعاية والعناية.

٤. **الحث على تعليمها الرُقَى:** كما حثت السنة النبوية على تعلم وتعليم الرقى الشرعية، فعن الشِّفاء بنت عبد الله – رضي الله عنها – ، قالت: دخل على رسول الله – ﷺ – وأنا عند حفصة فقال لى: (**أَلاَ تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ ..**)[١٤]. والرقى الشرعية من العلم النبوي، وتعلمها أجر ومعرفة، وهي مما تحتاجه المرأة لنفسها، ولأسرتها، ولمجتمعها.

٥. **تعليمها في سائر الأوقات:** من شأن النبي – ﷺ – الحرص على تعليم نسائه العلم، ووعظهن في سائر الأوقات، فعن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: استيقظ النبي – ﷺ – ذات ليلة فقال: (**سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ**)[١٥]. فلم يستثن – ﷺ – من ذلك وقت الليل؛ الذي تركن فيه النفس للراحة والدعة.

٦. **الإذن لها بحضور المساجد:** معلوم أن سبيل العلم هو حضور دوره ومناراته، كالمساجد، ومنها مسجد النبي – ﷺ – ، وقد كان – ﷺ – يشجع المرآة على حضوره؛ للتعلم، والصلاة، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت "إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – لَيُصَلِّى الصُّبْحَ، فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ[١٦]، مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ"[١٧]. وليس هذا قاصرًا على صلاة الفجر، بل يشمل صلاة الليل أيضًا، فقد قال – ﷺ – : (**ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد**)[١٨]. كما جاء النهي عن منعهن من المساجد صريحًا في قوله – ﷺ – : (**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**)[١٩].

٧. **الأمر بحضورها العيدين:** وأمرهن جميعًا أن يشهدن الخير – وهو التعلم – ، ودعوة المسلمين، فعن أم عطية الأنصارية – ﷺ – قالت: أمرنا رسول الله – ﷺ – أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق[٢٠]، والحُيّض، وذوات الخدور. فأما الحُيّض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: (**لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا**). وفي رواية: (**لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا؛ فَلْيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ**)[٢١]. فأباح للمسلمة أن تستعير ثياب أختها لتشهد صلاة العيد وما فيها من علم، ودعوة الخير، واستعمل لفظة (**أختها**) أو (**صاحبتها**) ليحث على إعارتها اللباس. قال ابن حجر: "وفيه أن الحائض لا تهجر ذكر الله ولا مواطن الخير، كمجالس العلم والذكر، سوى المساجد"[٢٢] ، "وفيه أن من شأن العواتق والمخدرات عدم البروز إلا فيما أذن لهن فيه، وفيه استحباب إعداد الجلباب للمرأة، ومشروعية عارية الثياب، وفيه استحباب خروج النساء إلى شهود العيدين سواء كن شواب أم لا، وذوات هيآت أم لا"[٢٣].

٨. **الإذن لها بحضور صلاة الجمعة:** ومن قبيل حضور الجماعات حضور صلاة الجمعة، فقد أذن رسول الله – ﷺ – للمرأة بذلك، فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان – رضي الله عنها – ، قالت : لقد كان تنورنا وتنور رسول الله – ﷺ – واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ **قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ** ﴾ (ق:١) إلا عن لسان رسول الله – ﷺ – يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس"[٢٤]. وأم هشام تميزت هنا بكثرة ملازمتها لبيت النبوة، وحضورها أو سماعها لخطبة الجمعة من رسول الله – ﷺ –.

٩. **تشجيعها على السؤال عن أمور دينها:** لقد كان النبي – ﷺ – لين العريكة، يشجع النساء على سؤاله، والاستفسار منه، ومما يدل على ذلك ما أخبرت به أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عندما قالت: "نعمَ النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"[٢٥]. فسؤال الأنصاريات يدل على أن سؤالهن للنبي – ﷺ – ظاهرة معلومة، وبرعاية نبوية. ومما يؤكد ذلك أنهن كن يسألن رسول الله – ﷺ – عما تستحي بعض النساء منه مما تختص به النساء، كاحتلام المرأة، فعن أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: جاءت أم سُليم إلى رسول الله – ﷺ – فقالت: "يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي – ﷺ – : (**إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**). فغطت أم سلمة – تعني وجهها – وقالت: يا رسول الله، وتحتلم المرأة؟ قال: (**نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ؛ فَبِمَ يُشْبِهُهَا؟!**)[٢٦]. فهنا امرأتان تسألان، والنبي – ﷺ – يجيب، ولم يمنعهما الحياء عن استيضاح العلم. قال ابن حجر: "فيه استفتاء المرأة بنفسها، وسياق صور الأحوال في الوقائع الشرعية؛ لما يستفاد من ذلك"[٢٧]. ونحو ذلك السؤال عن طهارة ثياب الحيض، فعن أسماء بنت أبي

بكر – رضي الله عنها – قالت: جاءت امرأة النبي – ﷺ – فقالت: أرايت إحدانا تحيض في الثوب كيف تصنع؟ قال: (**تَحُتُّهُ، ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ، وَتَنْضَحُهُ، وَتُصَلِّي فِيهِ**)[٢٨]. ومثله السؤال عن الاستحاضة، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: جاءت فاطمة ابنة أبي حبيش إلى النبي – ﷺ – فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أُستحاض فلا أطهُرُ، أفأدَعُ الصلاة؟ فقال رسول الله: (**لا؛ إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ، وَلَيْسَ بِحَيْضَ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ، فَدَعِي الصَّلاَةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ، فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ، ثُمَّ صَلِّي**)[٢٩]. قال ابن حجر: "فيه جواز استفتاء المرأة بنفسها، ومشافهتها للرجل فيما يتعلق بأحوال النساء، وجواز سماع صوتها للحاجة، وجواز سؤال المرأة عما يستحي من ذكره، والإفصاح بذكر ما يستقذر للضرورة"[٣٠]. بل فصل لها كيفية الطهارة من الحيض، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – : أن امرأة سألت النبي – ﷺ – عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل قال: (**خُذِي فِرْصَةً**[٣١] **مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا**). قالت: كيف أتطهر؟ قال: (**فَتَطَهَّرِي بِهَا**). قالت: كيف؟ قال: (**سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي**). فاجتبذتها إلي فقلت: "تتبعي بها أثر الدم"[٣٢]. قال ابن حجر: "فيه سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها، ولهذا كانت عائشة تقول في نساء الأنصار: "لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"[٣٣] ، وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة، وتكرير الجواب لإفهام السائل، وفيه تفسير كلام العالم بحضرته لمن خفي عليه إذا عرف أن ذلك يعجبه، وفيه الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل، وفيه الرفق بالمتعلم، وإقامة العذر لمن لا يفهم، وفيه أن المرء مطلوب بستر عيوبه، وإن كانت مما جبل عليها، من جهة أمر المرأة بالتطيب لإزالة الرائحة الكريهة، وفيه حسن خلقه – ﷺ – وعظيم حلمه وحيائه زاده الله شرفًا"[٣٤].

١٠. **تبليغها العلم الضروري:** من الواجب على من علم حكمًا شرعيًا أن يبلغه لمن يحتاج إليه، فعن عقبة ابن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة، فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني، ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله – ﷺ – بالمدينة، فسأله. فقال رسول الله – ﷺ – : (**كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ**). ففارقها عقبة، ونكحت زوجا غيره[٣٥]. فلما اختصت امرأة عقبة بحكم بلغه إياها عقبة، مع ما يظن أنه يحقق ضررًا له في الظاهر، والحقيقة أنه تجلية للأحكام؛ ولذلك رحل في سبيل طلبه.

ويظهر من تعدد صور العناية بالمرأة أهمية تعليمها، مع علمنا بضعف الإمكانات المتاحة في ذلك الزمن.

المطلب الثاني: دور المرأة في نشر العلم

امتازت المرأة المسلمة منذ عصر النبوية بنشرها للعلم، وبث نوره بين الناس، بدءًا من أمهات المؤمنين، حتى عموم نساء المسلمين إلى وقتنا هذا، فكم من جهل رفع بواسطتها، وكم من منقبة ثبتت لها فيه، وكم من بركة سرت في الأمة بسببها.

وقد كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – عالمة فقيهة، تستفتى وتفتي، فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري أنّه قال: "ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علمًا"(٣٦) ، وقال عطاء بن أبي رباح – رحمه الله – : "كانت عائشة أفقه النّاس، وأعلم النّاس، وأحسن النّاس رأيًا في العامة"(٣٧). وكانت تحث السائل على السؤال، فعن عبد الله بن رباح، أنه دخل على عائشة – رضي الله عنها – ، فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك. فقالت: "سل ما بدا لك؛ فإنما أنا أمك"(٣٨).

وهذه **أم عطية** الأنصارية – رضي الله عنها – يفوضها رسول الله – ﷺ – في بعض تطبيقات العلم، ويصير هذا التفويض مرجعًا للأمة بعدها، ففي الحديث أنها عندما غسلت ابنته زينب – رضي الله عنها – قال – ﷺ – : (**اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ – إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ – ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِى الآخِرَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِى**). فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوه، فقال: (**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**). تعني إزاره(٣٩). فقد اعتبر رأيهن في ذلك. قال الحافظ ابن حجر: "قوله إن رأيتن ذلك معناه: التفويض إلى اجتهادهن، بحسب الحاجة لا التشهي"(٤٠). والتفويض لا يمكن التراجع عن الإجراء الذي يتخذ بناء عليه.

وحديثها في خروج الحيض وذوات الخدور إلى صلاة العيد عمدة في الباب، فعن حفصة بنت سيرين قالت: "كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن في العيدين، فقدمت امرأة فنزلت قصر بني خلف، فحدثت عن أختها وكان زوج أختها غزا مع النبي – ﷺ – ثنتي عشرة، وكانت أختي معه في ست. قالت: كنا نداوي الكلمى، ونقوم على المرضى. فسألت أختي النبي – ﷺ – : أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ قال: (**لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا، وَلْتَشْهَدِ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ**) . فلما قدمت أم عطية سألتها أسمعت النبي – ﷺ – ؟ قالت: بأبي، نعم. وكانت لا تذكره إلا قالت بأبي سمعت يقول: (**يَخْرُجُ العَوَاتِقُ، وَذَوَاتُ الخُدُورِ، أَوِ العَوَاتِقُ ذَوَاتُ الخُدُورِ، وَالحُيَّضُ، وَلْيَشْهَدْنَ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الحُيَّضُ المُصَلَّى**) . قالت حفصة: فقلت: الحيض؟ فقالت: أليس تشهد عرفة كذا وكذا"(٤١). فانظر كيف نقلت بنات جنسها إلى السنة، وقربتهن إلى الأجر، وأكدت قول أختها الصحابية.

وحديث أسماء بنت عميس – رضي الله عنها – في فضل أصحاب السفينة – والذي حوى جملة من الفوائد – مشهور معروف، فعن أبي موسى – ﷺ – قال: بلغنا مخرج النبي – ﷺ – ونحن باليمن، فخرجنا إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: في بضع وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً في قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبي – ﷺ – حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا – يعني لأهل السفينة – : سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عميس – وهي ممن قدم معنا – على حفصة زوج النبي – ﷺ – زائرة – وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر – فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقانكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم. فغضبت، وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله – ﷺ – يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار – أو في أرض – البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله ورسوله – ﷺ – ، وايم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله – ﷺ – ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي – ﷺ – ، وأسأله، والله ولا أكذب، ولا أزيغ، ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي – ﷺ – قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا؟ قال (**فما قلت له؟**). قالت: قلت له: كذا وكذا. قال: (**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ – أَهْلَ السَّفِينَةِ – هِجْرَتَانِ**). قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي – ﷺ –.. قالت أسماء: رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني"[٤٢]. فها هي أسماء بنت عميس يرجع إليها الصحابة في علم نبوي خاص، وها هي تحاجج عمر الفاروق فتحجه، ويحكم لها النبي – ﷺ – بذلك، وتثبت بذلك فضيلة خاصة لامرأة، وفضيلة عامة لأصحاب السفينة إلى قيام الساعة.

فهذه ثلاثة أمثلة لصحابيات جليلات[٤٣] تحملن العلم عن رسول الله – ﷺ – ، ثم احتاجت الأمة إلى علمهن، فقمن بأدائه خير قيام.

المبحث الثاني: المرأة وإدارة الذات

أعظم ما يهتم به الإسلام في ذات العبد، أن ينمي فيه إكمال صور العبودية الخالصة لله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ** ﴾ (البينة: ٥) ، وبمثل هذا جاءت السنة النبوية في حق المرأة، فقد قال رسول الله – ﷺ – : (**بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يقتلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيل، فَنَزَعَتْ مُوقَها،**

فَسْتَقَته، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)[٤٤]. فالإخلاص يعظم الأعمال حتى تكون سببًا لغفران الذنوب، وتكفير السيئات، ولو كان الذنب كبيرًا كالزنا.

المطلب الأول: تهيئة المرأة لإدارة ذاتها

كان النبي – ﷺ – يهيأ المرأة لبلوغ الكمال المناسب لها في الحياة، فقد رسول الله – ﷺ – يقول في ذلك مشجعًا : **(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**[٤٥].

فمن الأهمية بمكان أن يكون الإنسان على معرفة تامة بالعقبات التي تعترض طريقه، وتحول بينه وبين تحقيق هدفه، والمؤمن طريقه طويلة، ومليئة بالمشقات، فلا بد له من استشعار ما هو مقدم عليه، وادراك ما قد يعرض له، من هنا كان رسول الله – ﷺ – يقص على الصحابة أحوال السابقين من أتباع الرسل، وكان مما قص عليهم قصص المؤمنات الأُول؛ ليشحذ همم الرجال والنساء جميعًا، ويستنهض عزائمهم، ومن ذلك:

١. **المرأة ورضيعها المتكلم في المهد:** من القصص النبوي الذي يهدف إلى رفع همة المؤمنين لا سيما النساء منهم، قول رسول الله – ﷺ – : **(بَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِه فَجَعَلَ يَرتَضِعُ .. وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُم يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ ونعْمَ الوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَل ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ ونَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى، مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهذِهِ الأَمَةِ، وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فقلتُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ؟! قَالَ: إِنَّ ذلك الرَّجُل كَانَ جَبَّاراً، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هذِهِ يَقُولُونَ: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ وَسَرقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا)**[٤٦]. وهذه القصة فيها أن الله – ﷻ – يهيأ لأمة الإيمان أينما كانت من ينبهها إلى الحق، ويثبتها عليه، ويعيد مثل هذا القصص على لسان الأنبياء؛ لتتناقلها الأجيال إلى ما شاء الله تعالى، وتعمل بمقتضاها.

٢. **المرأة ورضيعها في قصة أصحاب الأخدود:** ومن القصص النبوي كذلك ما ثبت في قصة أصحاب الأخدود أنه لما ابتلى الملك الكافر المؤمنين بالغلام والراهب **(فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ: يَا أُمَّهِ،**

اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)[٤٧]. فهذا غلام أنطقه الله – ﷻ – في المهد فتكلم، وحث أمه على الصبر، وشد من أزرها؛ ليكونا عبرة لكل أم، أن لا تؤتى من ضعفها وفرط شفقتها على صغارها، فالحق أحق أن يتبع، وسلعة الله – ﷻ – ثمنها الصبر.

٣. **المرأة مع ابنة فرعون:** قيض الله تعالى للإيمان موضعًا في بيت الكفر والطاغوت؛ ليكون حجة عليهم، فهذه ماشطة بنت فرعون تعلن الإيمان، وتتبرأ من الكفر، وتقدم نفسها وصغارها ثمنًا للإيمان، ولا تبالي بنار الدنيا، فقد قال رسول الله – ﷺ – : **(لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ. قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلانَةُ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ. قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ)**[٤٨].

فإذا كان هذا حال أطفال المؤمنين الذين يجري الله على يديهم خوارق العادات؛ ليثبت إيمان ذويهم، والأمة بأسرها إلى قيام الساعة، فلا مكان في قلب المؤمن لأن تحول الذرية بينهم وبين معالي الأمور، ولهذا ألفتَ النبيُ – ﷺ – لما جاء حفيداه الحسن والحسين يسعيان إليه، عندما قال: **(إِنَّ الوَلَدَ مَبْخَلَةٌ، مَجْبَنَةٌ)**[٤٩].

المطلب الثاني: دور المرأة في إدارة الذات

لم تدخر المرأة المؤمنة على مر العصور جهدًا في استيعاب توجيهات رسل الله – صلوات الله عليهم – السابقين، فضمت إلى ذلك حسن التطبيق، فكانت قدوة لمن أتي بعدها.

وفيما يلي عرض لبعض مهارات إدارة الذات التي أحسنت المرأة نقلها لبقية أفراد مجتمعها، بدأً من الأقرب لها فالأقرب، والأولى فالأولى.

١. **المرأة والاعتماد على الذات:** كان النبي – ﷺ – يمارس تعويد المرأة على الاعتماد على نفسها في أكثر من مناسبة، ومن ذلك إذنه العام للمرأة الرشيدة أن تخرج لممارسة ما تحتاج إليه في المجتمع، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فرأها عمر فعرفها،

فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا. فرجعت إلى النبي – ﷺ – فذكرت ذلك له – وهو في حجرتي يتعشى وإن في يده لعرقا – فأنزل عليه، فرفع عنه، وهو يقول: (**قَدْ أَذِنَ اللهُ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ**)(٥٠). قال ابن بطال: "في هذا الحديث دليل على جواز خروج النساء لكل ما أبيح لهن الخروج فيه من: زيارة الآباء، والأمهات، وذوى المحارم، والقرابات، وغير ذلك، مما بهن الحاجة إليه، وذلك في حكم خروجهن إلى المساجد"(٥١) ، وقال العيني: "وفيه: خروج المرأة بغير إذن زوجها إلى المكان المعتاد للإذن العام فيه"(٥٢).

٢. **المرأة والرفق:** من أخص المهارات التي تليق بالمرأة، وهي مظنة نشرها وتعميمها في المجتمع: الرفق، وقد كان رسول – ﷺ – الله يحرص على أن يكون صفة أساسية في المؤمنين، وكان يربي أمهات المؤمنين عليه، تخبرنا عن ذلك أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله – ﷺ – فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام، واللعنة. قالت: فقال رسول الله – ﷺ – : (**مَهْلاً يَا عَائِشَة، إِنَّ اللهَ يُحِبُ الرِفْقَ فِي الأمرِ كُلِّهِ**) . فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله – ﷺ – : (**قد قلت: وعليكم**)(٥٣).

٣. **المرأة وضبط الانفعالات الوجدانية:** من خصائص المرأة النفسية عدم سيطرتها على بعض الانفعالات لا سيما ما يتعلق منها بالغيرة عند تعدد الزوجات، وقد كان رسول الله – ﷺ – يدرك هذا منها، فمرّة "كان النبي – ﷺ – عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بِصَحفَةٍ فيها طعام، فضربت التي النبي – ﷺ – في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي – ﷺ – فلق الصفحة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: (**غَارَت أُمّكُم**). ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت"(٥٤). فالنبي – ﷺ – لم يعنف زوجته التي غارت، ولم يعظم خطأها عند من حضر الحادثة، وقدم عذرها لهم فقال: (**غَارَت أُمّكُم**) ، ولم يهدر حق زوجته الأخرى التي أكرمته وضيوفه بهذا الطعام، وأبدلها صحفة بدل التي كسرت، وأبقى الصحفة المكسورة في بيت من غارت جزاء فعلها.

٤. **المرأة والأخطاء الجسيمة:** جاءت الحدود لتطهير المؤمن من الكبائر التي يقترفها، والزنا حده الرجم للمحصن، والجلد والتغريب لغير المحصن، ولا يستلزم من استحقاق الحد ذم ذات المحدود مطلقًا، فقد أتت امرأة من جهينة نبي الله – ﷺ – وهي حبلى من الزنى، فقالت: "يا نبي الله، أصبت حدًا فأقمه علي". فدعا نبي الله – ﷺ – وليها، فقال: (**أحسن إليها، فإذا وضعت فائتني بها**) . ففعل، فأمر بها نبي الله – ﷺ – فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر:

تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: (**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟**)[٥٥]. فأعظم النبي – ﷺ – أمر التوبة، وفِعْلِها لها، ودلّل على ذلك بأنها جادت بنفسها من أجلها، وضبط انفعالات الصحابة، وأرشدهم إلى النظرة الصحيحة لأخطاء الآخرين.

٥. **تقدير المرأة العاملة ولو كان عملها متدنيًا:** جاء الوحيان بتقدير العمل والعاملين، ومن ذلك أن امرأة سوداء كانت تَقُمّ المسجد ففقدها رسول الله – ﷺ – ، فسأل عنها، فقالوا: ماتت. قال: (**أفلا كنتم آذنتموني؟**) . قال: فكأنهم صغروا أمرها. فقال: (**دلوني على قبرها**) . فدلوه فصلى عليها"[٥٦]. قال النووي: "فيه بيان ما كان عليه النبي – ﷺ – من التواضع والرفق بأمته. وتفقد أحوالهم، والقيام بحقوقهم، والاهتمام بمصالحهم في آخرتهم ودنياهم"[٥٧].

٦. **قيمة العمل بنتائجه:** العبادة كل لا يتجزأ، وما يأمر الشرع خير كلّه، وما من طاعة إلا وهي آخذة بزمام أختها، وأداء النوافل لا يعني رضا الله – ﷻ – عن بقية عمل المتطوع، فقد قال رجل: "يا رسول الله، إن فلانة – يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها – غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها؟" ، قال: (**هِيَ فِي النَّارِ**). قال: "يا رسول الله، فإن فلانة ي– ذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها – وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها؟" . قال: (**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**)[٥٨].

٧. **المشاركة الوجدانية:** المرء بإخوانه، وجاءت السنة النبوية بالمساواة بين المسلمين بالحقوق والنصرة، ومن صور النصرة كف الأذى، وتفريج الكربات، وستر العثرات، ومشاركتهم همومهم، فقد قال النبي – ﷺ – : (**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**)[٥٩] ، وقد كان رسول الله – ﷺ – يطبق هذا الحديث مع المرأة – ولو كانت أَمَة– ، فعن أنس بن مالك – ﷺ – قال: "كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله – ﷺ – فتنطلق به حيث شاءت"[٦٠]. قال ابن حجر: "المقصود من الأخذ باليد لازمه، وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع؛ لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله حيث شاءت أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة"[٦١].

٨. **فهم الآخرين والإحساس بشعورهم:** كان الرسول – ﷺ – قدوة في الذكاء الوجداني[٦٢]، وكان يشعر بتغيرات الآخر النفسية، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال لي رسول الله – ﷺ – : (**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى**) . قالت: فقلت: من

أين تعرف ذلك؟ فقال: (**أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**). قالت: قلت: "أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك"(٦٣). قال الطِيبي: "هذا الحصر لطيف جدًا؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة، فهو كما قيل:

إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُدُوْدَ وَإِنَّنِي قَسمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُدُوْدِ لَأَمِيْلُ"(٦٤).

قال ابن حجر: "يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه، والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك"(٦٥).

٩. **الاستفادة من تجارب الأمم وخبراتها:** من التوفيق أن يبحث المرء عن كل ما يصلح حياته وحياة الآخرين، وقد كان النبي – ﷺ – يحرص على بيان ما يصلح لأمته، فعن جدامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله – ﷺ – في أناس وهو يقول: (**لقد هممت أن أنهى عن الغيلة**(٦٦)، **فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم، فلا يضر أولادهم ذلك شيئا**)(٦٧).

١٠. **التوقع الإيجابي**(٦٨): بلغ النبي – ﷺ – الغاية في حسن الظن بالله تعالى واليقين بنصره، وكانت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها تستشعر عظم معاناته، وتسأله سؤال المواسي، فتقول له: "هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فيجيبها مرشدًا ومقويًا لإيمانها: (**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي – ﷺ – : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**)(٦٩). وقد صدق رجاء النبي – ﷺ – فأسلمت ثلة من قريش عام الفتح مع أبنائهم.

١١. **حسن التصرف في الأزمات:** عند الشدائد يظهر الإيمان الكامل، ويوفق المرء للتصرف السليم، وقد مر النبي – ﷺ – بامرأة تبكي عند قبر، فقال: (**اتقي الله، واصبري**) . قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي. و لم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي – ﷺ – . فأتت باب النبي – ﷺ – ، فلم تجد عنده بوابين. فقالت: لم أعرفك. فقال: (**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)(٧٠). فانظر كيف أوصها بالصبر، و لم يؤخر النصح لظرف المصيبة، ولما فاتها الخير جاءت تعتذر، وأخبرها بالواقع و لم يجاملها.

١٢. **العفو الإيجابي**: العفو عند المقدرة وفي موضعه المناسب له، من المهارات الإيجابية التي ينبغي أن يمارسها المؤمن، فعن أنس بن مالك – ﷺ – أن أم سليم – رضي الله عنها – اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله – ﷺ – : (**ما هذا الخنجر؟**) . قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله – ﷺ – يضحك. قالت: يا رسول الله، أقتل من بعدنا من الطلقاء؛ انهزموا بك. فقال رسول الله – ﷺ – : (**يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن**)[٧١]. مع أن الانهزام عن النبي – ﷺ – يوم حنين من العظائم، إلا أنه عفى عمن وقع في هذا الذنب؛ لأن الله كفى المسلمين ما هو أعظم، وأحسن إليهم ببقاء رسول الله – ﷺ – حيًا ليعفوا عنهم.

ومن المواقف التي ضربت فيها المرأة مثالاً يحتذي في العفو، ما روي عن عوف بن مالك بن الطفيل – وهو ابن أخي عائشة زوج النبي ﷺ لأمها – أن عائشة حدثت: أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة، أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة. فقالت: لا والله، لا أشفع فيه أبدًا، ولا أتحنث إلى نذري. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث – وهما من بني زهرة – وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة؛ فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكم. ولا تعلم أن معهما ابن الزبير. فلما دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبي – ﷺ – نهى عما قد علمت من الهجرة؛ فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت، والنذر شديد. فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها"[٧٢].

المبحث الثالث: المرأة ونقل الخبرات

تزداد حاجة الإنسان إلى الخبرات بازدياد حاجاته الحياتية، ويتميز المسلم بِمَهام ينبغي عليه القيام بها، فالتكاليف الشرعية تتطلب بحسبها إلى عدة مهارات حتى تؤدى بإتقان، فالإسلام دين الإيجابية والعمل، واكتساب المرء الخبرات بنقلها من الغير أسرع وأيسر من تحصيلها بالممارسة، والمرأة في هذا غالبًا كالرجل، ولها خصائص تزيد من حاجتها لبعض المهارات كالأمومة، وتربية النشأ .. إلخ.

المطلب الأول: دور السنة النبوية في إكساب المرأة الخبرات

جاءت السنة النبوية بالحث على إكساب المرأة ما تحتاج إليه من الخبرات، وتشجيعها على تحصيل بعضها الآخر. ونضرب على بعض ذلك أمثلة تجلي المقصود كالتالي:

١. **تشجيعها على مراجعة العلم والتفكير فيه:** وقد كان بدء تطبيق هذا التشجيع عمليًا وفي بيت النبوة، فعن ابن أبي مليكة: أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – زوج النبي – ﷺ – كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي – ﷺ – قال: (**مَنْ حُوْسِبَ عُذِّب**).

قالت عائشة فقلت: "أوليس يقول الله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ (الانشقاق: ٨) ؟ قالت: فقال: (**إنّما ذلك العَرض، ولكن من نُوقش الحساب يَهلك**)[٧٣]. فهنا المرأة مارست التفكير العلمي، من خلال التحليل والمقارنة، وراجعت النبي – ﷺ – ، ولو علمت كراهته لذلك لما أقدمت عليه، بل تعلم خلافه، وأنه يحب منها ذلك. قال ابن حجر: "وفي الحديث: ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي – ﷺ – لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم، وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب، وفيه أن السؤال عن مثل هذا لم يدخل فيما نهي الصحابة عنه في قوله تعالى: ﴿ **لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ** ﴾ (المائدة: ١٠١)"[٧٤].

ومن ذلك أنها سألت رسول الله – ﷺ – عن قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ (المؤمنون: ٦٠) : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (**لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**)[٧٥]. ففي ذلك حرصها على معرفة معنى الآية؛ لما يترتب عليه من عمل، ويسعى لمعرفته الكُمّل من المؤمنين.

وها هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر – رضي الله عنهما – تأكد هذا المعنى، وتبين عمليًا كيف تكون المراجعة علمية رشيدة، فقد قالت أم مبشر – رضي الله عنها – أنها سمعت النبي – ﷺ – يقول عند حفصة: (**لا يدخل النار – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**) . قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها. فقالت حفصة: (يا رسول الله، أليس قد قال الله): ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا** ﴾ (مريم: ٧١)؟ قال: [(أو لم تسمعيه يقول): ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ (مريم: ٧٢)][٧٦]. فأجاب رسول الله – ﷺ – عن مراجعة حفصة – رضي الله عنها – ؛ لأنها أحسنت عَرضها، وأعرض عن تعقب أم مبشر؛ لأن قد يُفهم منه الاعتراض، واكتفى بردةِ فعلِ حَفصة.

أما أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – فقد قالت لرسول الله – ﷺ – حين ذكر ذم إسبال الإزار: فالمرأة يا رسول الله؟ قال: (**تُرْخِي شِبْرًا**). قالت أم سلمة: إذاً ينكشف عنها! قال: (**فَذِرَاعًا، لاَ تَزِيدُ عَلَيْهِ**)(٧٧). ففهمت أم سلمة من ذلك عموم النهي فسألت، فجاءها الجواب الشافي.

فهذه أربعة أمثلة، في ثلاثة أبيات للنبي – ﷺ – تؤكد تقبله للتفكير العلمي، وقبوله المراجعة في العلم، وحرصه على الإقناع في الإجابة، وفي هذا تدريب عليه، وتشجيع المرأة على العلم، والتفكير الناقد المنضبط.

٢. **تدريبها**: للتدريب أهمية كبيرة في حياة البشر، وهو وسيلة فَعَّالَةٌ في نقل الخبرات وتطويرها، وتقليل الجهود اللازمة لتنفيذ الأعمال، واختصار الأوقات المستقطعة لأدائها.

وقد مارس النبي – ﷺ – تدريب المرأة عمليًا، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – : أن رسول الله – ﷺ – أمر بكبش أقرن، فأتي به، فقال لها: (**يا عائشة، هَلُمِّي المُدْيَة**). ثم قال: (**اشْحَذِيْهَا بِحَجَر**). ففعلت، ثم أخذها، وأخذ الكبش فأضجعه، ثم ذبحه، ثم قال: (**باسم الله، اللهم تقبل من محمد، وآل محمد، ومن أمة محمد**). ثم ضحى به(٧٨). وما كان النبي – ﷺ – في حاجة لمساعدة عائشة، ولكنه أراد أن يوجهها لمعرفة مستلزمات الأعمال، ومراحل التنفيذ؛ لتتمكن من أدائها عند الحاجة، أو نقل الخبرة لمن يحتاجها.

٣. **تعدويدها الاستشارة في المهمات**: كان النبي – ﷺ – يمارس تعويد المرأة على الاستشارة؛ لعظم منفعتها، ويهيؤها لتقديم المشورة بعد ذلك عند الحاجة، وكان يعتمد على الاستفادة من خبرات الآخرين أحيانًا، ففي حادثة اعتزال رسول الله – ﷺ – أزواجه شهرًا أو تسعًا وعشرين نزلت عليه هذه الآية ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (الأحزاب: ٢٨-٢٩) . فبدأ بعائشة – رضي الله عنها – فقال لها: (**يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرًا، أُحِبُ أن لا تَعْجَلي فيه، حتى تَسْتَشِيْرِي أبويك**) . قالت: "وما هو يا رسول الله؟" فتلا عليها الآية. قالت: "أفيك يا رسول الله استشير أبوى؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة"(٧٩).

رد مشورة عائشة وحفصة :

ومن أمثلة رد مشورة المرأة؛ لعدم إصابتها، لا لأنها امرأة، ما روته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ، أن رسول الله – ﷺ – قال في مرضه: (**مُرُوْا أبا بَكْر يُصَلِّي بالناس**). قالت عائشة: قلت: "إن أبا بكر إذا قام مقامك لا يسمع الناس؛ من البكاء، فَمُر عمر فليصل" . فقال: (**مُرُوْا أبا بَكْر**

فَلْيُصَلّ لِلنّاس). قالت عائشة لحفصة: "قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لا يسمع الناس؛ من البكاء، فَمُر عمر فليصل للناس" ، ففعلت حفصة. فقال رسول الله – ﷺ – : (**مَهْ! إنّكن لأنتن صَوَاحب يوسف، مُروا أبا بكر فليصل للناس**). قالت حفصة لعائشة: "ما كنت لأصيب منك خيرا"(٨٠).

هذا في استشارة المرأة في الأمور العامة، أما استشارتها في الأمور الخاصة فقد أثبت النبي – ﷺ – حق المرأة في استشارتها في أمر زواجها إن كانت بكرًا، واستئذانها إن كانت ثيبًا، كما في قوله – ﷺ – (**لا تُنكح الأيِّم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البِكْر حتى تُستأذن**). قالوا: كيف إذنها؟ قال: (**أن تسكت**)(٨١) ، بل وأثبت حقها وحق أمها في الاستشارة كذلك، فعَنْ عبد الله بن عمر، أنه قال لأبيه عمر – رضي الله عنهما – : "اخْطُبْ عَلَيَّ ابْنَةَ صَالِحٍ. فَقَالَ: إِنَّ لَهُ يَتَامَى، وَلَمْ يَكُنْ لِيُؤْثِرَنَا عَلَيْهِمْ. فَانْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ إِلَى عَمِّهِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ لِيَخْطُبَ، فَانْطَلَقَ زَيْدٌ إِلَى صَالِحٍ، فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ، فَقَالَ: لِي يَتَامَى، وَلَمْ أَكُنْ لأُثْرِبَ لَحْمِي، وَأَرْفَعَ لَحْمَكُمْ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَنْكَحْتُهَا فُلانًا، وَكَانَ هَوَى أُمِّهَا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، خَطَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ابْنَتِي، فَأَنْكَحَهَا أَبُوهَا يَتِيمًا فِي حَجْرِهِ، وَلَمْ يُؤَامِرْهَا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – إِلَى صَالِحٍ، فَقَالَ: (**أَنْكَحْتَ ابْنَتَكَ وَلَمْ تُؤَامِرْهَا ؟**). فَقَالَ: نَعَمْ. قال: (**أَشِيرُوا عَلَى النِّسَاءِ فِي أَنْفُسِهِنَّ**) – وَهِيَ بِكْرٌ –"(٨٢).

فإذا جاز أن تستشار المرأة في أمر تزويج ابنتها، فاستشارتها في أمر بيتها، وأسرتها من باب أولى؛ لأن الزواج أعظم منه، وهو يتعلق بغيرها ممن بلغ الرشد، بل لا تستقيم الحياة بلا تعاون، والاستشارة في حقيقتها تعاون فكري، ويترتب عليه عمل أَهَمَّ المُستشير حتى ألجأه للاستشارة.

٤. **مهارة الكتابة**: أمر النبي – ﷺ – المرأة بتعليم غيرها سبيل المعرفة، وهي الكتابة، فعَنِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنها – أيضًا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: (**أَلاَ تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ، كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ**)(٨٣). وفي الحديث أن النبي – ﷺ – كان يحث المرأة على العلم ونشره، وأن من الصحابيات الجليلات من تميزن بعلم من العلوم، وأن رسول الله – ﷺ – كان على معرفة وإطلاع بما تميزن به، وأنه كان يشجعهن على تعليم ما تميزن به ونشره في بنات جنسهن. قال ابن قيم الجوزية: "في الحديث دليل على جواز تعليم النساء الكتابة"(٨٤).

٥. **مهارة الاتصال**(٨٥): كما كان – ﷺ – يولى أمته اهتمامه، ويحسن الاتصال الفعّال بهم، و لم يكن يستثن من ذلك أحدًا، فيتواصل مع الصغير والكبير، والمرأة والرجل، والعبد والسيد، والفقير والغني. ومن مهارات الاتصال التي كان رسول الله – ﷺ – يمارسها مع المرأة:

١) **الاتصال الجسدي:** كالمصافحة ومسح الرأس وتقبيله، ولهذا النوع من الاتصال أثر معنوي عظيم في النفس البشرية، فعن أبي قتادة – ﷺ – قال: بينا نحن جلوس في المسجد، إذ خرج علينا رسول الله – ﷺ – يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب بنت رسول الله – ﷺ – وهي صبية يحملها، فصلى رسول الله – ﷺ – وهي على عاتقه يضعها إذا ركع، ويعيدها إذا قام، حتى قضى صلاته، يفعل ذلك بها(٨٦). فهذا تطبيق عملي من النبي – ﷺ – على الاتصال الحركي الفردي مع حفيدته أمامة، واتصال حركي بصري مع الصحابة؛ ليقتدوا به في التواصل مع الأبناء – لاسيما البنات – ، كما له أثر نفسي واجتماعي مع صهره وابنته.

٢) **الاتصال اللفظي:** كالاعتراف بالآخر والاهتمام به، فأول من بدء به – ﷺ – في تبليغ رسالته أهله وعشيرته – رجلاً ونساءً – ، قال أبو هريرة – ﷺ – : قام رسول الله – ﷺ – حين أنزل الله – ﷻ – ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ** ﴾ (الشعراء: ٢١٤). قال: "يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، و يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا"(٨٧) . فمن مهارات الاتصال الاعتراف بالآخر وبدوره في العملية الاتصالية، والانفتاح عليه بصورة تؤدي غالبًا إلى مزيد من التفاعل، والتقارب.

٣) **استعمال الاتصال غير الرسمي:** كان – ﷺ – كثيرًا ما يستعمل أسلوب الاتصالات غير الرسمية(٨٨) حتى مع المرأة، يرشد إلى هذا ما رواه عبد الله بن عباس – ﷺ – : أن زوج بريرة عبد أسود يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي – ﷺ – للعباس: **(يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا)**. فقال النبي – ﷺ – : **(لَوْ رَاجَعْتِهِ)** . قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: **(إِنَّمَا أَنَا أَشْفَع)** . قالت: لا حاجة لي فيه(٨٩).

فهنا استخدم النبي – ﷺ – أسلوب الشفاعة الحسنة – غير الرسمي – من أجل أن يصلح بين اثنين من أفراد الأمة والدولة، وهذا شأن من يريد أن يكون مديرًا قائدًا، لا مديرًا منفذًا فقط؛ ليجمع شمل أمته، ويتحقق لها وعد الله – ﷻ – بالعزة والتمكين.

٤) **الاهتمام بالعلاقات الإنسانية:** كان النبي – ﷺ – رحمةً للعالمين؛ لكمال شفقته بالمدعوين، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي – ﷺ – ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي – ﷺ – يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق

خديجة. فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: (**إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد**). وهذا مثال يدل على عظمة النبي – ﷺ – في الجانب الأسري من حياته – وهو جانب يقصر فيه كثير من الناس اليوم – ، حيث اعترف بمعروف أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ، وأطراها كلما ذكرت عنده، ووصل صديقاتها بعد موتها بالبر والإحسان، ودافع عنها كلما تكلم فيها أحد. وهكذا ينبغي على المرأة أن تهتم في الاتصال الإنساني للأسرة والمجتمع.

المطلب الثاني: دور المرآة في نقل الخبرات

للمهارات المكتسبة دور حيوي في تلبية متطلبات الحياة، وكانت المرأة في عهد النبوة تمارس نقل الخبرات ونشرها، ومن ذلك ممارستها لجملة من المهارات عمليًا، مثل:

١) **مهارة الكتابة:** وتقدم أمره – ﷺ – للشفاء بنت عبد الله – رضي الله عنها – بتعليم أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – الكتابة، ورقية النملة(٩٠).

٢) **مهارة مداواة الجرحى:** اشتهر بهذه المهارة ثلة من الصحابيات، منهن:

١ – **فاطمة بنت رسول الله** – ﷺ – رضي الله عنها – : فعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ – ﷺ – ، قَالَ: "كَانَتْ فَاطِمَةُ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا – يَوْمَ أُصِيبَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – ، تَحْرِقُ الْحَصِيرَ، **تُدَاوِي بِهِ جُرْحَهُ**، تُلْصِقُهُ عَلَيْهِ"(٩١).

٢ – **أم المؤمنين عائشة** – رضي الله عنها – : فعن بُكَيْر، أَنَّ أُمَّهُ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا أَرْسَلَتْ إِلَى عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – بِأَخِيهِ مَخْرَمَةَ، وَكَانَتْ **تُدَاوِي مِنْ قَرْحَةٍ تَكُونُ بِالصِّبْيَانِ**، فَلَمَّا دَاوَتْهُ عَائِشَةُ وَفَرَغَتْ مِنْهُ رَأَتْ فِي رِجْلَيْهِ خَلْخَالَيْنِ جَدِيدَيْنِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَظَنَنْتُمْ أَنَّ هَذَيْنِ الْخَلْخَالَيْنِ يَدْفَعَانِ عَنْهُ شَيْئًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَوْ رَأَيْتُهَا مَا تَدَاوَى عِنْدِي، وَمَا مَسَّ عِنْدِي، لَعَمْرِي لَخَلْخَالاَنِ مِنْ فِضَّةٍ أَطْهَرُ مِنْ هَذَيْنِ"(٩٢).

٣ – **رفيدة الأسلمية** – رضي الله عنها – : قال محمود بن لبيد: "لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة، وكانت **تداوي الجرحى**"(٩٣).

٤ – **أم سليم**– رضي الله عنها – : فعَنْ أَنَسٍ – ﷺ – ، قَالَ: "كَانَ رسول الله – ﷺ – يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مَعَهَا مِنَ الأَنْصَارِ معه إذا غزا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، **وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى**"(٩٤). وقوله: "ونسوة معها من الأنصار .. ويداوين الجرحى" يدل على أن الأمر كان شائعًا في زمن النبوة.

٣) **مهارة الاتصال:** وهو أنواع كما تقدم، نذكر منه هنا ما يلي:

١. **الاتصال بالإشارة:** مارست المرأة مهارة الاتصال عن طريق الإشارة في أكثر من مناسبة، فعن أسماء – في حادثة خسوف الشمس – قالت: أتيت عائشة – رضي الله عنهما – وهي تصلي،

فقلت: ما شأن الناس؟ **فأشارت إلى السماء**، فإذا الناس قيام، فقلت: سبحان الله! قلت: آية؟ فأشارت برأسها؛ أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب على رأسي الماء، فحمد الله – ﷻ – النبي – ﷺ – وأثنى عليه، ثم قال: (**ما من شيء لم أكن أُرِيْتَهُ إلا رَأَيْتَهُ في مقامي، حتى الجنة والنار..**)[٩٥]. فلما احتاجت أم المؤمنين عائشة للإجابة، واستحضرت منع الصلاة للكلام، الإشارة؛ لتوصل ما أرادت من جواب، لا سيما وهي في نافلة.

٢. **اختيار التوقيت المناسب**: من الأمثلة التي ينبغي أن تذكر في مثل هذا المقام ما رواه أنس بن مالك – ﷺ – قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن مما كان. فقربت إليه العشاء، فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله – ﷺ – فأخبره. فقال: (**اللهم بارك لهما**). فولدت غلاما. فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي – ﷺ –. فأتى به النبي – ﷺ – وبعثت معه بتمرات فأخذه النبي – ﷺ – فقال: (**أمعه شيء؟**). قالوا: نعم تمرات. فأخذها النبي – ﷺ – فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في في الصبي، ثم حنّكه، وسماه عبد الله[٩٦]. فمن فضل الله على أم سليم – رضي الله عنها – أن وفقها للتوقيت المناسب الذي تخبر فيه زوجها بوفاة ابنه، لاسيما أنه لا يمكنه فعل شيء يعيد حياته. وحري بكل زوجة أن تستفيد من هذا الموقف وغيره، وتقتدي بالصحابيات الجليلات اللاتي اقتدين بالنبي – ﷺ – وأمهات المؤمنين.

وأم سليم هذه هي التي عندما تقدم أبو طلحة لخطبتها – وكان مشركاً – استغلت فرصة دعوته للحق واشترطت عليه الإسلام، فقالت: "إني قد أسلمت، فإن أسلمت نكحتك، فأسلم فكان صداق ما بينهما"[٩٧].

٣. **الإتصال العاطفي**: وفق الله – ﷻ – المرأة لتوظيف هذه المهارات في الدعوة إلى الله – ﷻ – ، وقد أعز الله – ﷻ – الإسلام بإسلام عمر بن الخطاب – ﷺ – ، فقد قال رسول الله – ﷺ – : (**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب**). قال ابن عمر:"وكان أحبهما إليه عمر"[٩٨] ، ومن المشهور في التاريخ أن إسلام عمر بن الخطاب – ﷺ – كان على يد أخته فاطمة بنت الخطاب – رضي الله عنها – ، فروي أنه لما قيل له أن ختنك وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة بنت الخطاب، قد أسلما وتابعا محمدًا – ﷺ – على دينه، رجع عمر عامدا لختنه وأخته، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب بن الأرت في مخدع لعمر أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءته عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها؟ قالا: ما سمعت شيئا، قال: بلى والله لقد أخبرت عما تابعتما محمدًا على دينه،

وبطش بختنه سعيد بن زيد، وقامت إليه فاطمة أخته لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. **ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى.** وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرآن آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد؟ وكان عمر كاتبا، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إليها إذا قرأها، **فلما قال لها ذلك طمعت في إسلامه،** فقالت له: يا أخي، إنك نجس على شركك، وإنه **لا يمسها إلا الطاهر،** فقام عمر فاغتسل، ثم أعطته الصحيفة، وفيها طه، فقرأها، فلما قرأ صدرًا منها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه"[٩٩] . فهذه هي المرأة الداعية إلى الله على بصيرة، تحسن التواصل مع الأقربين، وتهديهم لما فيه خير دينهم ودنياهم.

٤. **الإتصال اللفظي والعقلي:** كانت أم عبد الله ليلى بنت أبي حثمة العدوية[١٠٠] – رضي الله عنها – تمارس هذا الاتصال، وتجادل عمر قبل إسلامه انتصارًا لدينها، فعن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة، قالت: "والله إنه لنرتحل الى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ اقبل عمر، حتى وقف علي – وهو على شركه – قالت: وكنا نلقى منه البلاء، أذى لنا وشرًا علينا. فقالت: فقال: إنه لانطلاق يا أم عبد الله. قالت: قلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجا. قالت: فقال: صحبكم الله. ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه فيما أرى خروجنا. قالت: فجاء عامر من حاجتنا تلك فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفا، ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم. قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأسا؛ لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام"[١٠١]. قال عبد الله بن مسعود – ﷺ – : "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"[١٠٢]. فانظر كيف تعاقبت امرأتان على دعوة رجل كان من أشد الناس على الإسلام، فكانتا من أسباب هدايته.

٤) **مهارة التفكير:** حرص النبي – ﷺ – على تعليم المرأة ما يشكل عليها، ولم يأنف من سؤالها، بل كان ينمي فيها ذلك كما تقدم بيانه، ومن الأمثلة على قيامهن بممارسة العلم مع رسول الله – ﷺ – والتفكير فيه ما روي عن كريب، أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر – رضي الله عنهم – أرسلوه إلى عائشة – رضي الله عنها – فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعا، وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي – ﷺ – نهى عنها. وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر ابن الخطاب عنها. فقال كريب: فدخلت على عائشة – رضي الله عنها – فبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة. فقالت أم سلمة – رضي الله عنها – :

سمعت النبي – ﷺ – ينهى عنها، ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فأرسلت إليه الجارية، فقلت: قومي بجنبه، قولي له: تقول لك أم سلمة يا رسول الله، سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري عنه، ففعلت الجارية، فأشار بيده، فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: (**يَا بِنْتَ أَبِى أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ؟ وإِنَّهُ أَتَانِى نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَشَغَلُونِى عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهُمَا هَاتَانِ**)[١٠٣]. قال ابن حجر: "وفيه دلالة على فطنة أم سلمة – رضي الله عنها – ، وحسن تأتيها بملاطفة سؤالها واهتمامها بأمر الدين، وكأنها لم تباشر السؤال لحال النسوة اللاتي كن عندها، فيؤخذ منه إكرام الضيف واحترامه. وفيه: ترك تفويت طلب العلم وإن طرأ ما يشغل عنه، وجواز الاستنابة في ذلك، وفيه: المبادرة إلى معرفة الحكم المشكل فراراً من الوسوسة، وفيه أن النسيان جائز على النبي – ﷺ – ؛ لأن فائدة استفسار أم سلمة عن ذلك تجويزها إما النسيان وإما النسخ وإما التخصيص، فظهر وقوع الثالث، والله أعلم"[١٠٤].

ومن مظاهر حسم الجدل بالتفكير في أمر يمكن به استبانة وجه الحق فيه ما قامت به أم الفضل بنت الحارث – رضي الله عنها – عندما قالت: أن ناسًا اختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي – ﷺ – . فقال: بعضهم هو صائم. وقال بعضهم: ليس بصائم. فأرسلتُ إليه بقدح لبن – وهو واقف على بعيره – فشربه"[١٠٥] . قال الحافظ ابن حجر في فوائد هذا الحديث: "فيه البحث والاجتهاد في حياته – ﷺ – ، والمناظرة في العلم بين الرجال والنساء، والتحيل على الاطلاع على الحكم بغير سؤال، وفيه فطنة أم الفضل؛ لاستكشافها عن الحكم الشرعي بهذه الوسيلة اللطيفة اللائقة بالحال؛ لأن ذلك كان في يوم حر بعد الظهيرة"[١٠٦].

ومن حرص أمهات المؤمنين على تعلم العلم وتعليمه لغيرهن ما روته أم سلمة زوج النبي – ﷺ – أنها قالت: "كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، و لم أسمع ذلك من رسول الله – ﷺ – ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله – ﷺ – يقول: أيها الناس. فقلت للجارية: استأخري عني . قالت: إنما دعا الرجال، و لم يدع النساء. فقلت: إني من الناس. فقال رسول الله – ﷺ – : (**إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحْقًا**)[١٠٧] . فلم تفوت أم سلمة فرصة التعلم، وبادرت لتفسير شمول لفظ الناس للنساء والرجال لماشطتها.

٥) **مهارة التدريب:** كانت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حريصة على تعليم العلم من خلال التدريب عليه بالوسائل الممكنة، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: "دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألها أخوها عن غسل النبي – ﷺ – ، فدعت بإناء نحوًا من صاع، فاغتسلت،

وأفاضت على رأسها، وبيننا وبينها حجاب"(١٠٨) . قال ابن حجر: "وفي فعل عائشة – رضي الله عنها – دلالة على استحباب التعليم بالفعل؛ لأنه أوقع في النفس، ولما كان السؤال محتملاً للكيفية والكمية ثبت لهما ما يدل على الأمرين معاً: أما الكيفية فبالاقتصار على إفاضة الماء، وأما الكمية فبالاكتفاء بالصاع"(١٠٩).

٦) **مهارة تقديم المشورة:** حوت السنة والسيرة النبوية عدة مواقف لتقديم المرأة مشورتها عند الحاجة، نستخلص منها ومما تقدم أن المرأة كانت تستشار وتشير، وأنها نالت شرف استشارة النبي – ﷺ – لها، بل واعتماد مشورتها ورأيها في الأمور العامة فضلاً عن الأمور الخاصة، ومن أشهر مواقف استشارة المرأة في السيرة النبوية ما وقع لأم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – في يوم صلح الحديبية عندما قال النبي – ﷺ – لأصحابه: (**قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا**). قَالَ الراوي: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ: نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ..)(١١٠).

وقد صار هذا الحديث دليلاً على جواز استشارة المرأة الفاضلة، والاستفادة من رأيها، قال الخطابي (ت٣٨٨هـ) : "وفي قبول رسول الله – ﷺ – إشارة أم سلمة عليه بأن يبدأ بنحر هديه وحلق رأسه، دليل على جواز مشاورة النساء، وقبول قولهن، إذا كن مصيبات فيما يشرن به"(١١١) ، وأكد ذلك ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) فقال: "وأما مشاورة رسول الله – ﷺ – أم سلمة وقبول قولها ففيه دليل على جواز العمل بمشاورة النساء"(١١٢) ، وتابعهم ابن بطال – رحمه الله – فقال: "شاور النبي – ﷺ – أم سلمة فأراه الله بركة المشورة، ففعل ما قالت، فاقتدى به أصحابه، وكذلك لو فعل رسول الله – ﷺ – في حجة الوداع ما أمر به أصحابه من الحلاق والحل ما اختلف عليه اثنان، ففي هذه من الفقه أن الفعل أقوى من القول. وفيه: جواز مشاورة النساء ذوات الفضل والرأي"(١١٣) ، وقال العيني (ت٨٥٥هـ): "وفيه جواز مشاورة النساء ذوات الفضل والرأي"(١١٤) ، وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) : "عَلِم النبي – ﷺ – صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، وفيه فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد، وليس فيه أن الفعل مطلقًا أبلغ من القول، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة، وفضل أم سلمة، ووفور عقلها، حتى قال إمام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة – كذا قال –

(١١٥) ، وقد استدرك بعضهم عليه بنت شعيب في أمر موسى"(١١٦) . إلى غير ذلك من مواقف الاستشارة في السيرة والسنة النبوية(١١٧).

المبحث الرابع: المرأة وتنشئة الأولاد وتربيتهم

المرأة هي مرتكز التربية الراشدة، والإعداد الرباني لأجيال المستقبل، والأولاد – ذكورًا وإناثًا – هم عدة الغد في المدى المنظور الحاضر، والقريب المتوقع، والبعيد المستشرف، على حد سواء، وهم أَمَل الأمة المنشود. وقد اهتمت السنة النبوية بإعداد المرأة المسلمة الإعداد اللائق بها، وبالدور الذي تنتظره أمتها منها؛ لتشرف بتنمية مهارات الأجيال اللاحقة. ولبيان صور هذه العناية نشير إلى شذرات تنبه على عظيم هذه العناية، وأهمية موضوعها.

المطلب الأول: دور السنة النبوية في تهيئة المرأة للتربية الراشدة وتربيتهم

من الأمثلة التي تدل على عظيم استشراف السنة النبوية لمكانة المرأة في الحياة، وعظم الدور المنوط بها، وأن الإحسان إليها منذ الصغر في الدنيا سبب لدخول الجنة في الآخرة، كما في قول رسول الله – ﷺ – : (**من كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جِدَتِهِ**(١١٨)، **كن له حجابًا من النار يوم القيامة**)(١١٩) ، فجعل ثواب الامتثال للأمر النبوي بالصبر عليهن يشمل التربية السليمة، وعموم الرعاية المستحقة لهن، كما في قوله – ﷺ – : (**مَنْ عَالَ ثَلاَثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَرَحِمَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْجَنَّةُ**)(١٢٠) ، وبين أن هذا الأمر يشمل الأخوات ونحوهن، وأن إحسان الصحبة مأمور به، كما في قوله – ﷺ – : (**لا يَكُونُ لأحَدٍ ثَلاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَيَتَّقِي اللهَ فِيهِنَّ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ، إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)(١٢١) . والإطعام، والسقي، والكسوة، من صور الإحسان؛ الذي هو بذل ما زاد على الواجب(١٢٢) ؛ ولذلك ذكر معه الصبر، والرحمة، والتأديب؛ ليبين أن الوصية بهن عظيمة. فالعناية بالبنات والأخوات ونحوهن منذ الصغر توجيه نبوية شريف، ومقصد للأمة عظيم، به تقوم بخلافتها التي كلفهم الله بها، وبدونها تسقط مكانة الأمة بين الأمم، ويتلاشى أثرها.

ومن ذلك تعويدها على الصدق، حتى مع غير المكلفين كصغار السن، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي(١٢٣) يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : (**وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟**). قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : (**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ**)(١٢٤). فالصدق مع الخَلْق، ولو كانوا غير مكلفين، كالصغار ونحوهم، مما تحمد آثاره، وتعظم ثماره، ويكفي المكلف أن يعلم أن الكذب ليس من صفات

المؤمنين، وأن الصدق من أخص صفاتهم، وأن التربية الراشدة تعني القدوة المستقيمة في السر والعلن، بل حتى مع العجماوات وغيرها.

المطلب الثاني: دور المرأة في تنشئة الأولاد وتربيتهم

للأم دور بالغ الأهمية في إعداد النشأ وتأهيله للقيام بدوره المنشود في رفعة أمته، ومن النشأ الأنبياء والرسل الذين صنعهم الله على عينه، وكلأهم برعايته، وهيأ لهم من يرعاهم وينمي مهاراتهم منذ الصغر، فقد اعتنى الله – ﷻ – بإعدادهم عناية خاصة، ومن صور هذه العناية: ما هيأه لإعداد أمهاتهم، اللاتي كان لهن أثر عظيم في صياغة شخصياتهم، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١) العناية بمحمد – ﷺ – : كان النبي – ﷺ – دعوة مستجابة من خليل الله إبراهيم – عليه السلام – ، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (البقرة: ١٢٩). قال ابن كثير: "وافقت هذه الدعوة المستجابة قَدَرَ اللهِ السابقِ في تعيين محمد – صلوات الله وسلامه عليه – رسولاً في الأميين إليهم، إلى سائر الأعجمين، من الإنس والجن"(١٢٥).

وبشر به عيسى – عليه السلام – ، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ (الصف: ٦).

ورأت فيه – ﷺ – أمه آمنه رؤيا صالحة، فقد ثبت أن "**أُمَّ رَسُولِ اللهِ** – ﷺ – **رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ**"(١٢٦) ؛ لذلك كلأته ورعته رعاية خاصة، فوق القدر الذي تقتضيه رعاية الأمومة الغريزية، وكذلك هيأ الله – ﷻ – لبقية أنبيائه، وما ذلك إلا من حفظ الله – ﷻ – الخاص لأنبيائه. قال رسول الله – ﷺ – : (**إِنِّي عَبْدُ اللهِ، لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ** – عليه السلام – **لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ**)(١٢٧).

ومما يدل على تثبيت هذه الرؤيا لقلب أمه – ﷺ – ما ورد في حادثة شق الصدر، فقد قال – ﷺ – : (**ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي**(١٢٨) **فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أُلْبِسَ بِي، قَالَتْ: أُعِيذُكَ بِاللهِ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلَتْنِي عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَّيْتُ أَمَانَتِي، وَذِمَّتِي؟ وَحَدَّثْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ، أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ**)(١٢٩). فرؤيا أمهات الأنبياء من الإعداد الإلهي لهن؛ حتى يقمن بمهمة

حفظ وإعداد أنبيائه فوق القدر الذي تقوم به بقية الأمهات؛ فأثر الإعداد العاطفي والذهني يفوق أثر الإعداد الجسدي.

ونحوه دور أمه من الرضاعة حليمة السعدية – رضي الله عنها – ، ولا أدل على رعاية الله – ﷻ – لها من قولها عن أول لقائها به – ﷺ – : "قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس بها الرضعاء، وفي سنة شهباء، فقدمت على أتان لي قمراء، كانت أذمت بالركب، ومعي صبي لنا، وشَارِفٍ لنا، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، ما نجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله – ﷺ – فإذا قيل إنه يتيم تركناه، وقلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؛ إنما نرجو المعروف من أبي الوليد، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني أكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. فقال: لا عليك. فذهبت فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره، فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك؛ فإذا أنها لحافل، فحلب ما شرب، وشربت، حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله، إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري إلى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه، فلم يزل الله يزيدنا خيرًا حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى إن صواحبي ليقلن: ويلك يا بنت أبي ذؤيب، أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم، والله إنها لهي. فيقلن: والله إن لها لشأنا، حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله – ﷻ – أجدب منها، فإن كانت غنمي لتسرح، ثم تروح شباعًا لبنًا، فنحلب ما شئنا، وما حولنا أحد تبض له شاه بقطرة لبن، وأن أغنامهم لتروح جياعًا، حتى أنهم ليقولون لرعيانهم: ويحكم انظروا حيث تسرح غنم أبي ذؤيب فاسرحوا معهم. فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيريحون أغنامهم جياعًا وما فيها قطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا، لبنًا نحلب ما شئنا، فلم يزل الله – ﷻ – يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه"(١٣٠). فكل هذه البشارات التي رأتها هؤلاء النسوة هي من باب الثبيت لهن حتى يرعين النبي – ﷺ – ويربينه منذ طفولته، فشبابه، ثم كهولته، حتى يبعثه الله رسولاً للبشرية فتسعد.

ومما يدل على أهمية رعاية الأنبياء في الصغر ما ذكره أهل السير عن حسن مجازاة أبي لهب جراء تكفله بتوفير مرضعة للنبي – ﷺ – ، فقد قال عروة بن الزبير: "ثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي – ﷺ – ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة. قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة"(١٣١).

أما أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – فقد كانت لها يد طولى في دعم النبي – ﷺ – ومؤازرته، فقد كانت هي زوجة رسول الله – ﷺ – الوحيدة مبدأ مبعثه، وكانت نعم الزوجة والسند له – ﷺ – ، ومما يبين لنا عظم مكانتها عنده – ﷺ – ما روته أم المؤمنين عَائِشَة – رضي الله عنها – قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ – إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ. قَالَتْ : فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا، حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ – ﷻ – بِهَا خَيْرًا مِنْهَا. قَالَ: "**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ – ﷻ – خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ – ﷻ – وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ**"(١٣٢). ولذلك استحقت أن تعد من كُمّل النساء كما في قوله – ﷺ – : (**خيرُ نسائِها مريم ابنة عمران، وخيرُ نسائِها خديجة**)(١٣٣). فالقيم التي تترسخ في أثناء مواقف الدعم والمساندة لها أثر فعّال في مواجهة الشدائد وتحملها.

٢) العناية بإسماعيل – عليه السلام – : كان بيت نبي الله إبراهيم – عليه السلام – بيت إيمان وتقوى، وقد أُمتحن هذا البيت بصنوف البلاء، فصبر واحتسب، ومن نتاج احتمال الأذى في سبيل الله – ﷻ – أن أُخدمت سارةُ هاجر، والتي وهبتها لزوجها، وأنجبت له نبي الله إسماعيل، ولما أراد الله بالأمة خيرًا، جعل إبراهيم يهاجر بهاجر إلى أرض مكة، لتكون سببًا في عمارة البيت الحرام، في قصة عظيمة الفوائد، فعَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – ، قَالَ: "لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ، هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، تَعْنِي: الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِرُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ – ﷺ – : (**لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا**). قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ

فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ، فَبَلَغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمُ امْرَأَةً، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، قَالَ: قُولِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: أَنْتِ ذَاكِ، فَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ: أَلاَ تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ - ﷺ - : (**بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ** - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ -) قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلاً لَهُ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ (البقرة: ١٢٧). قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ البِنَاءُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ الحِجَارَةِ، فَقَامَ عَلَى حَجَرِ المَقَامِ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ (البقرة: ١٢٧)"[١٣٤]. وهذا الحديث فيه تنمية لعدة مهارات، منها: حسن التوكل على الله تعالى، وجميل الصبر على الشدائد، والاعتماد على النفس ببذل الأسباب، وتدعيم الثقة بإمكانية وجود حلول، وأن الاتصال اللفظي للمرأة قضى بطلاق واحدة، وببقاء زوجية أخرى. وغير ذلك من المهارات.

ومن المهارات التي تمارسها المرأة المسلمة، وتنميها في أولادها منذ النشأة، إلى أن يصبحوا كبارًا يقومون بدورهم المنشود في أمتهم تربيتهم على الجهاد والشجاعة والصبر، فمن كريم عناية الله بهذه الأمة أن جعل الأمثلة التي سطرتها المرأة المؤمنة أكثر من أن تعد أو تحصى، ولذلك نشير إلى أمثلة تنبأ عن عظيم هذه العناية، فمن ذلك ما امتازت به:

١. **سمية بنت مسلم وابنها عمار**: لقد ضربت الصحابية الجليلة سمية - رضي الله عنها - أروع المثل في الصبر على الإيمان، فصبرت هي وأسرتها على الابتلاء والتعذيب، والمرأة عادةً هي الحلقة الأضعف في الأسرة، وغالبًا تكون التنازلات شفقة عليها، ولكنها آثرت أن تصبر وتكون أول شهيدة في الإسلام، فقد مر رسول الله - ﷺ - بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: (**أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة**)[١٣٥]. ومن نتائج حسن تربية سمية لابنها وتنميتها لمهاراته، أنه صار قدوة في الصبر، والحكمة، والوقوف مع الحق، فعن عكرمة - رحمه الله - ، قال لي عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد - رضي الله عنه - فاسمعا من حديثه. فانطلقنا، فإذا هو في حائط

يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا، حتى أتى ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي – ﷺ – فينفض التراب عنه، ويقول: (**ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار**). قال: يقول عمار: "أعوذ بالله من الفتن"(١٣٦).

٢. **أم سليم بنت ملحان وابنها أنس**: كما ضربت أم سليم – رضي الله عنها – مثلاً آخر في تقديم خدمة رسول الله على خدمتها، فها هي تقدم ابنها أنس – ﷺ – ليخدم رسول الله – ﷺ – ولا يفارقه، فعن أنس بن مالك – ﷺ – ، قال: جاءت بي أمي إلى رسول الله – ﷺ – وقد آزرتني بنصف خمارها، وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: (**اللهم أكثر ماله وولده**). قال أنس: "فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم"(١٣٧). وعنه – ﷺ – قال: دخل النبي – ﷺ – علينا، وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقال: (**قوموا فلأصلي بكم**) ، – في غير وقت صلاة – . فصلى بنا، ثم دعا لنا أهل البيت، بكل خير من خير الدنيا والآخرة. فقالت أمي: يا رسول الله، خويدمك، ادع الله له. قال: فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: (**اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيه**)(١٣٨).

٣. **أم معاذ بن عفراء ، وأم معاذ بن عمرو بن الجموح**: ولا يبعد عنهما ما فعلتاه من قدمتا ابنيهما ليجاهدا مع رسول الله، بل نالا شرف قتل رأس الكفر أبي جهل في غزوة بدر، فعن عبد الرحمن بن عوف قال: "بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ – حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا – فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: (**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**) ، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: (**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**) ، قَالاَ: لاَ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: (**كِلاَكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ**) ، وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ"(١٣٩). ففعل كهذا من شابين يافعين لا يكون إلا بعد تربية وإعداد لهما من جنس ما تقدم من نقل للقيم والمهارات التي تولد الإخلاص والشجاعة والتفاني، حتى لو كان ثمن ذلك زهوق النفس.

٤. **نسيبة في الخندق:** ضربت أم عمارة نسيبة بنت كعب – رضي الله عنها – المثل في الشجاعة التي فاقت شجاعة كثير من الرجال، فقد "شَهِدَتْ أُحُدًا هِيَ وَزَوْجُهَا وَابْنَاهَا؛ وَخَرَجَتْ مَعَهَا شَنّ لَهَا فِي أَوّلِ النّهَارِ تُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَ الْجَرْحَى، فَقَاتَلَتْ يَوْمَئِذٍ وَأَبْلَتْ بَلاءً حَسَنًا، فَجُرِحَتْ اثْنَيْ عَشَرَ جُرْحًا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ أَوْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ". وتصف بنفسها مشاركتها في هذه الغزوة فتقول: "خَرَجْت أَوّلَ النّهَارِ إلَى أُحُدٍ، وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النّاسُ وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ فَانْتَهَيْت إلَى رَسُولِ اللّهِ – ﷺ – وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدّولَةُ وَالرّبْحُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْت إلَى رَسُولِ اللّهِ – ﷺ – فَجَعَلْت أُبَاشِرُ الْقِتَالَ وَأَذُبّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ – ﷺ – بِالسّيْفِ وَأَرْمِي بِالْقَوْسِ حَتّى خَلَصَتْ إلَيّ الْجِرَاحُ. فَرَأَيْت عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا لَهُ غَوْرٌ أَجْوَفُ فَقُلْت: يَا أُمّ عُمَارَةَ مَنْ أَصَابَك بِهَذَا؟ قَالَتْ: أَقْبَلَ ابْنُ قَمِيئَةَ وَقَدْ وَلّى النّاسُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ – ﷺ – يَصِيحُ دُلّونِي عَلَى مُحَمّدٍ، فَلا نَجَوْت إنْ نَجَا فَاعْتَرَضَ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأُنَاسٌ مَعَهُ فَكُنْت فِيهِمْ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضّرْبَةَ وَلَقَدْ ضَرَبْته عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ وَلَكِنّ عَدُوّ اللّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ". وقال "النّبِيّ – ﷺ – : (**لَمُقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ مُقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ**) ، وَكَانَ يَرَاهَا تُقَاتِلُ يَوْمَئِذٍ أَشَدّ الْقِتَالِ وَإِنّهَا لَحَاجِزَةٌ ثَوْبَهَا عَلَى وَسَطِهَا، حَتّى جُرِحَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا. فَلَمّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ كُنْت فِيمَنْ غَسّلَهَا، فَعَدّدْت جِرَاحَهَا جُرْحًا جُرْحًا فَوَجَدْتهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا. وَكَانَتْ تَقُولُ إنّي لأَنْظُرُ إلَى ابْنِ قَمِيئَةَ وَهُوَ يَضْرِبُهَا عَلَى عَاتِقِهَا – وَكَانَ أَعْظَمَ جِرَاحِهَا، لَقَدْ دَاوَتْهُ سَنَةً – ثُمّ نَادَى مُنَادِي النّبِيّ – ﷺ – إلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ فَشَدّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ نَزْفِ الدّمِ. وَلَقَدْ مَكَثْنَا لَيْلَنَا نُكَمّدُ الْجِرَاحَ حَتّى أَصْبَحْنَا، فَلَمّا رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ – ﷺ – مِنْ الْحَمْرَاءِ، مَا وَصَلَ إلَى بَيْتِهِ حَتّى أَرْسَلَ إلَيْهَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ كَعْبٍ الْمَازِنِيّ يَسْأَلُ عَنْهَا، فَرَجَعَ إلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِسَلامَتِهَا فَسُرّ النّبِيّ – ﷺ – بِذَلِكَ". ولها موقف عظيم يوم اليمامة، تقول عنه: "لَمّا جَعَلَتْ الأَعْرَابُ يَنْهَزِمُونَ بِالنّاسِ نَادَتْ الأَنْصَارُ: "أَحْلِصُونَا" ؛ فَأُحْلِصَتْ الأَنْصَارُ، فَكُنْت مَعَهُمْ حَتّى انْتَهَيْنَا إلَى حَدِيقَةِ الْمَوْتِ فَاقْتَتَلْنَا عَلَيْهَا سَاعَةً حَتّى قُتِلَ أَبُو دُجَانَةَ عَلَى بَابِ الْحَدِيقَةِ وَدَخَلْتهَا وَأَنَا أُرِيدُ عَدُوّ اللّهِ مُسَيْلِمَةَ فَيَعْتَرِضُ لِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَضَرَبَ يَدِي فَقَطَعَهَا، فَوَاَللّهِ مَا كَانَتْ لِي نَاهِيَةً وَلا عَرّجْت عَلَيْهَا حَتّى وَقَفْت عَلَى الْخَبِيثِ مَقْتُولاً، وَابْنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ زَيْدٍ الْمَازِنِيّ يَمْسَحُ سَيْفَهُ بِثِيَابِهِ. فَقُلْت: قَتَلْته؟ قَالَ: نَعَمْ. فَسَجَدْت شُكْرًا لِلّهِ"(١٤٠).

وغير ذلك من المواقف التي سطرت دور المرأة في عهد النبوة في الإقدام، والجهاد، والصبر(١٤١).

الحرص على عبادة الصغير:

ومن ذلك حرصها على تنشأة الصغير على العبادة، وحضور محافل الخير والقرب من النبي – ﷺ – ، فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ، عن النبي – ﷺ – لقي ركبا بالروحاء فقال: (**مَن القَوْم؟**) قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: (**رَسُوْلُ الله**) . فرفعت إليه امرأة صبيا فقالت: ألهذا

حج؟ قال: (**نعم، ولك أجر**)[١٤٢]. فمن فطنة هذه المرأة وانشغال بالها بمصلحة صغيرها أن بادرت بالسؤال بمجرد أن علمت أنها أمام رسول الله – ﷺ – ، فلم تضيع الفرصة، ولم تنتظر مبادرة غيرها ولو كانوا رجلاً.

الخـــاتـــمـــة

بعد هذه الجولة المختصرة مع دور المرأة المسلمة في تنمية المهارات من خلال السيرة والسنة النبوية خلص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، نذكر منها:

أولا: نتائج البحث:

جاءت السنة النبوية بمجموعة من الأدوار المهمة للمرأة المؤمنة منها ما يلي:

١. حثت المرأة على إكتساب وتنمية المهارات الحياتية اللازمة للقيام بدورها الحيوي في الحياة عمومًا، وفي الإسلام خصوصًا.

٢. اعتنت بتعليم المرأة، وشجعتها على ممارسة دورها في نشر العلم.

٣. هيأت المرأة لإدارة ذاتها، وكان لها دور كبير في إدارة ذاتها وذوات الآخرين.

٤. حثت المرأة على اكتساب الخبرات، ومارست دورها في نقل الخبرات للآخرين.

٥. هيأت المرأة للتربية الراشدة، والتفاعل مع دورها الأساسي في تنشئة الأولاد، و تقديم الدعم للآخرين.

ثانيا: توصيات البحث:

وبعد ذلك يمكن للبحث أن يقدم مجموعة من التوصيات، منها:

١. أهمية مواصلة البحث العلمي الإستشرافي لدور المرأة في تحقيق النهضة الفكرية والعملية للأمة المعاصرة.

٢. تبين بعد استكمال البحث قابلية مفرداته لمزيد من التعمق لاسيما المتعلقة بدور المرأة في التعليم، ودورها في تنمية مهارات التفكير عند الناشئة، ونقل الخبرات، والإتصال الفعال .. إلخ.

٣. ضرورة تفعيل دور المرأة كما جاء في الوحيين، وتمكين الأمة من الافادة من طاقات أفرادها الكامنة.

الهوامش :

(١) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢١٢/٣، ح٣١٥٣) . ومسلم، الصحيح (١٠٩٠/٢، ح١٤٦٨) ، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٢٧٨/٥، ح٣١٥٣) . ومسلم، الصحيح (١٨١١/٤، ح٢٣٢٣) ، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه الترمذي، الجامع (٤٦٧/٣، ح١١٦٣) ، وقال: "حسن صحيح". وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي (ح١٨٥١).

(٤) انظر: سورة النساء، آية رقم ١٢٤، وسورة النحل، آية رقم ٩٧، وسورة غافر، آية رقم ٤٠.

(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥٠/٣، مادة: زَرَعَ).

(٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري (٢٧٨٦/٥، مادة: زَرَعَ).

(٧) التعليم وإشكالية التنمية، الهنداوي، نسخة إلكترونية في موقع: إسلام ويب، على هذا الرابط:
http://www.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=A&BabId=٧&ChapterId=٧&BookId=٢٩٨&CatId=٢٠١&startno=٠

(٨) انظر: مختار الصحاح، للرازي (ص١٦٧، مادة: حَذَقَ). والمصباح المنير، للفيومي (٥٨٢/٢، مادة: مَهَرَ).

(٩) أخرجها البخاري، الصحيح (٥٠/١، ح١٠١) ، وعنون للباب بعنوان: "هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟".

(١٠) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٦٦٦/٦، ح٦٨٨٠) ، وعنون للباب بقوله: "تعليم النبي – ﷺ – أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل" . ومسلم، الصحيح (٢٠٢٨/٤، ح٢٦٣٣).

(١١) أخرجه البخاري، الصحيح (٣٢٧/١، ح٩١٨) ، وعنون للباب بقوله: "موعظة الإمام النساء يوم العيد". ومسلم، الصحيح (٦٠٣/٢، ح٨٨٥) . واللفظ للبخاري.

(١٢) أخرجه البخاري، الصحيح (٤٨/١، ح٩٧) . وترجم للباب بقوله: "باب تعليم الرجل أمتة وأهله". قال ابن حجر، فتح الباري (١٩٠/١) : "مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص، وفي الأهل بالقياس؛ إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء".

(١٣) الأدب تطبيق عملي للعلم، فبذلك يرجع إليه، ويدخل فيه.

(١٤) أخرجه أبو داود، السنن (١٣/٤، ح٣٨٨٩) . وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (ح٣٨٨٩).

(١٥) أخرجه البخاري، الصحيح (٣٤/١) ، وترجم له "باب العلم واليقظة بالليل" . قال ابن حجر، فتح الباري (٢١٠/١-٢١١) : " أي تعليم العلم بالليل، والعظة .. الوعظ، وأراد المصنف التنبيه على أن النهي عن الحديث بعد العشاء مخصوص بما لا يكون في الخير .. وقوله (صواحب الحجر) إنما خصهن بالإيقاظ لأنهن الحاضرات حينئذ، أو من باب (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)".

(١٦) بمروطهن: جمع مرط وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به. الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح. انظر: المعجم الوسيط، للزيات وآخرين (٨٦٤/٢و٦٥٨).

(١٧) أخرجه البخاري، الصحيح (٢١٠/١، ح٥٥٣) . ومسلم، الصحيح (٤٤٥/١، ح٦٤٥).

(١٨) أخرجه البخاري، الصحيح (٣٠٥/١، ح٨٥٧).

(١٩) أخرجه البخاري، الصحيح (٣٠٥/١، ح٨٥٨) . ومسلم، الصحيح (٣٢٦/١، ح٤٤٢).

(٢٠) العواتق: قال ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/٣): "الشابة أول ما تدرك، وقيل: هي التي لم تبن من والديها، و لم تزوج، وقد أدركت وشبت".

(٢١) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٣/١، ح٣١٨) ، وله عدة ألفاظ ذكرها مفرقة. ومسلم، الصحيح (٦٠٥/٢، ح٨٩٠) ، وله عدة روايات في الباب. وسيأتي في (ص٩).

(٢٢) فتح الباري، لابن حجر (٤٢٤/١).

(٢٣) فتح الباري، لابن حجر (٤٧٠/٢).

(٢٤) أخرجه مسلم، الصحيح (٥٩٥/٢، ح٨٧٣).

(٢٥) أخرجه مسلم، الصحيح (٢٦٠/١، ح٣٣٢).

(٢٦) أخرجه البخاري، الصحيح (٦٠/١، ح١٣٠).

(٢٧) فتح الباري، لابن حجر (٣٨٩/١).

(٢٨) أخرجه البخاري، الصحيح (٩١/١، ح٢٢٥) . ومسلم، الصحيح (٢٤٠/١، ح٢٩١) . واللفظ للبخاري.

(٢٩) أخرجه البخاري، الصحيح (٩١/١، ح٢٢٦) . ومسلم، الصحيح (٢٦٢/١، ح٣٣٣).

(٣٠) فتح الباري، لابن حجر (٤١٠/١).

(٣١) الفِرصة: قطعة من صوف أو قطن أو خرقة مطيبة بالمسك. يتتبع بها أثر الدم فيحصل منه الطيب والتنشيف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٩٢/٦).

(٣٢) أخرجه البخاري، الصحيح (١١٩/١، ح٣٠٨) . ومسلم، الصحيح (٢٦٠/١، ح٣٣٢).

(٣٣) تقدم آنفا في (ص٦، حاشية رقم٢٥).

(٣٤) فتح الباري، لابن حجر (٤١٦/١).

(٣٥) أخرجه البخاري، الصحيح (٤٥/١، ح٨٨).

(٣٦) أخرجه الترمذي، الجامع (٧٠٥/٥، ح٣٨٨٣) . وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (ح٣٨٨٣).

(٣٧) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١٨/٨، رقم ١١٤٥٧).

(٣٨) أخرجه أحمد، المسند (٣٢٠/٤٣، ح٢٦٢٨٩) . وصححه محققوه.

(٣٩) أخرجه البخاري، الصحيح (٤٢٢/١، ح١١٩٥) . وتقدم بلفظ آخر (ص٦).

(٤٠) فتح الباري، لابن حجر (١٢٩/٣).

(٤١) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٣/١، ح٣١٨) . ومسلم، الصحيح (٦٠٥/٢، ح٨٩٠) . واللفظ للبخاري.

(٤٢) أخرجه البخاري، الصحيح (١٥٤٦/٤، ح٣١٨) . ومسلم، الصحيح (١٩٤٦/٤، ح٢٥٠٣) . واللفظ للبخاري.

(٤٣) تقدم ذكر غيرهن في أثناء البحث، كأم سلمة، والشفاء، وجدامة بنت وهب.

(٤٤) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٧٩/٣، ح٣٢٨٠) . ومسلم، الصحيح (١٧٦١/٤، ح٢٢٤٥) . واللفظ للبخاري.

(٤٥) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٥٢/٣ ، ح٣٢٣٠) . ومسلم، الصحيح (١٨٨٦/٤ ، ح٢٤٣١).

(٤٦) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٦٨/٣، ح ٢٣٥٣) . ومسلم، الصحيح (١٩٧٦/٤، ح٢٥٥٠) . واللفظ له.

(٤٧) أخرجه مسلم، الصحيح (٢٢٩٩/٤، ح٣٠٠٥).

(٤٨) أخرجه أحمد، المسند (٣٠/٥-٣١، ٢٨٢١) . وقال محققوه: إسناده حسن.

(٤٩) أخرجه ابن ماجه، السنن (١٢٠٩/٢، ح ٣٦٦٦) . وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه (ح٣٦٦٦).

(٥٠) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٠٠٦/٥، ح٢٤٨).

(٥١) شرح صحيح البخارى، لابن بطال (٣٦٤/٧).

(٥٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢١٨/٢٠).

(٥٣) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٢٤٢/٥، ح٥٦٧٨) . ومسلم، الصحيح (١٧٠٦/٤، ح٢١٦٥).

(٥٤) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٠٠٣/٥، ح٤٩٢٧).

(٥٥) أخرجه مسلم، الصحيح (١٣٢٤/٣، ح١٦٩٦).

(٥٦) أخرجه البخاري، الصحيح (١٧٦/١، ح٤٤٨) . ومسلم، الصحيح (٦٥٩/٢، ح٢١٦٥). واللفظ لمسلم. وفيه: أو شابًا.

(٥٧) شرح مسلم، للنووي (٣٧٢/٣).

(٥٨) أخرجه أحمد، المسند (٤٢١/١٥، ح٩٦٧٥) . وحسن محققوه إسناده.

(٥٩) أخرجه البخاري، الصحيح (٨٦٢/٢، ح٢٣١٠) . ومسلم، الصحيح (١٩٩٦/٤، ح٢٥٨٠).

(٦٠) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٢٥٥/٥، ح٥٧٢٤).

(٦١) فتح الباري، لابن حجر (٤٩٠/١٠).

(٦٢) انظر: اكتسب مهارات الذكاء الوجداني من سنة نبيك – ﷺ – ، د. علي آل عجين.

(٦٣) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٠٠٤/٥، ح٣٩٤٠) . ومسلم، الصحيح (١٨٩٠/٤، ح٢٤٣٩).

(٦٤) فتح الباري، لابن حجر (٣٢٦/٩). والبيت من الكامل، للشاعر أبي عاصم الأحوص عبد الله بن محمد الأنصاري.

(٦٥) فتح الباري، لابن حجر (الموضع السابق).

(٦٦) الغَيْلة: من الغَيْلِ، وهو: "اللبنُ تُرْضِعُه المرأةُ وَلَدها وهي تُؤْتَى، أو وهي حامِلٌ". القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص١٠٤٠).

(٦٧) أخرجه مسلم، الصحيح (١٠٦٦/٢، ح١٤٤٢).

(٦٨) انظر: الإيجابية في السنة النبوية، لزراعي، وأسس التفكير الإيجابي في ضوء السنة النبوية، للرقيب.

(٦٩) أخرجه البخاري، الصحيح (١١٨٠/٣، ح٣٠٥٩) . ومسلم، الصحيح (١٤٢٠/٣، ح١٧٩٥).

(٧٠) أخرجه البخاري، الصحيح (٤٣٠/١، ح١٢٢٣) . ومسلم، الصحيح (٦٣٧/٢، ح٩٢٦).

(٧١) أخرجه مسلم، الصحيح (١٤٤٢/٣، ح١٨٠٩).

(٧٢) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٢٥٥/٥، ح٥٧٢٥).

(٧٣) أخرجه البخاري، الصحيح (٥١/١، ح١٠٣) ، وعنون للباب بقوله: "من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه". ومسلم، الصحيح (٢٢٠٤/٤، ح٢٨٧٦).

(٧٤) فتح الباري، لابن حجر (١٩٧/١).

(٧٥) أخرجه الترمذي، الجامع (٣٢٧/٥، ح٣١٧٥) . وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (ح٣١٧٥).

(٧٦) أخرجه مسلم، الصحيح (١٩٤٢/٤،ح ٢٤٢٦) . والزيادة من ابن ماجه، السنن (١٤٣١/٢، ح٤٢٨١) . وصححها الألباني، السنن (ح٢٤٢٦).

(٧٧) أخرجه أبوداود، السنن (١١١/٤، ح٤١١٩) . وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (ح٤١١٩).

(٧٨) أخرجه مسلم، الصحيح (١٥٥٧/٣، ح١٩٦٧).

(٧٩) أخرجه البخاري، الصحيح (١٧٩٦/٤، ح٤٥٠٧) . ومسلم، الصحيح (١١٠٤/٢، ح١٤٧٨) . واللفظ له. وفي حديث الإفك جملة من الاستشارات انظر بيانها في: استشارة المرأة في السيرة النبوية.

(٨٠) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٥٢/١، ح٦٨٤) . ومسلم، الصحيح (٣١١/١) ، واللفظ للبخاري.

(٨١) أخرجه البخاري، الصحيح (٢٥٥٦/٦ ، ح٦٥٦٩).

(٨٢) أخرجه أحمد، المسند (١٢/١٠، ح٥٧٢٠) ، وقال محققوه: حديث حسن. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٤٢/٣، ح١٤٥٩).

(٨٣) أخرجه أبو داود، السنن (١٣/٤، ح٣٨٨٩) . وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (ح٣٨٨٩).

(٨٤) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (١٨٥/٤).

(٨٥) انظر: الاتصال الفعال في علم الإدارة المعاصر و انعكاساته في السنة النبوية.

(٨٦) أخرجه أبو داود، السنن (٣٤٥/١، ح٩١٩) . والنسائي، السنن (٢ /٤٥، ح ٧١١) . واللفظ له. وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي (ح٧١١).

(٨٧) أخرجه البخاري، الصحيح (٣ /١٠١٢ ، ح ٢٦٠٢) . ومسلم، الصحيح (١ /١٩٢ ، ح ٢٠٤) . واللفظ للبخاري.

(٨٨) الاتصالات غير الرسمية هي: التي تعتمد على العلاقات الشخصية الاجتماعية، خارج مجال العمل. انظر: مقدمة في الإدارة، للقريوتي (ص١١٦- ١٢١)، وإدارة الجودة، للعتري (٢٥١-٢٥٢).

(٨٩) أخرجه البخاري، الصحيح (٥ /٢٠٢٣، ح ٤٩٧٩).

(٩٠) انظره: (ص٥ و١٩).

(٩١) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير (١٣٤/٦، ح ٥٧٥٥).

(٩٢) أخرجه الحاكم، المستدرك (٢٤٢/٤، ح٧٥٠٨) . وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٩٣) أخرجه البخاري، الأدب المفرد (ص٣٨٥، ح١١٢٩) . وصححه الألباني، صحيح الأدب المفرد (ح١١٢٩).

(٩٤) أخرجه مسلم، الصحيح (١٤٤٣/٣، ح١٨١٠).

(٩٥) أخرجه البخاري، الصحيح (٤٤/١، ح٨٦) . ومسلم، الصحيح (٢ /٦٤٢ ، ح ٩٠٥) . واللفظ للبخاري.

(٩٦) أخرجه البخاري، الصحيح (٥ /٢٠٨٢، ح ٥١٥٣) . ومسلم، الصحيح (٣ /١٦٨٩، ح ٢١٤٤).

(٩٧) أخرجه النسائي، السنن (١١٤/٦، ح٣٣٤٠) . وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي (ح٣٣٤٠).

(٩٨) أخرجه الترمذي، الجامع (٦١٧/٥، ح٣٦٨١) . وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (ح٣٦٨١).

(٩٩) أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٦٧/٣) . وفيه القاسم بن عثمان ضعيف، والرواية بلغت حد الشهرة.

(١٠٠) لها ترجمة في: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١٠٢/٨، رقم١١٧٠٨).

(١٠١) أخرجه أحمد، فضائل الصحابة (٢٧٩/١، ح٣٧١أ) . وحسنه محققه.

(١٠٢) أخرجه البخاري، الصحيح (٣ /١٣٤٨، ح ٣٤٨١).

(١٠٣) أخرجه البخاري، الصحيح (٤١٤/١، ح١١٧٦) . ومسلم، الصحيح (٥٧١/١، ح٨٣٤).

(١٠٤) فتح الباري، لابن حجر (١٠٦/٣).

(١٠٥) أخرجه البخاري، الصحيح (٥٩٨/٢، ح١٥٧٨) . ومسلم، الصحيح (٧٩١/٢، ح١١٢٣).

(١٠٦) فتح الباري، لابن حجر (٢٣٨/٤).

(١٠٧) أخرجه مسلم، الصحيح (١٧٩٥/٤، ح٢٢٩٥).

(١٠٨)أخرجه البخاري، الصحيح (١٠٠/١، ح٢٤٨) . ومسلم، الصحيح (٢٥٦/١، ح٣٢٠) . واللفظ للبخاري.

(١٠٩) فتح الباري (٣٦٥/١) . ونقل عن القاضي عياض قوله: "ظاهره أنهما رأيا عملها في رأسها وأعالي جسدها، مما يحل نظره للمَحْرَم؛ لأنها خالة أبي سلمة من الرضاع، أرضعته أختها أم كلثوم، وإنما سترت أسافل بدنها مما لا يحل للمحرم النظر إليه. قال: وإلا لم يكن لاغتسالها بحضرتهما معنى".

(١١٠) أخرجه البخاري، الصحيح (٩٧٤/٢، ح٢٥٨١).

(١١١) معالم السنن، للخطابي (٣٣٣/٢).

(١١٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٥٨/٤).

(١١٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٤٣/١٥).

(١١٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٩/١٤).

(١١٥) قوله "كذا قال" فيه إشارة إلى عدم موافقته.

(١١٦) فتح الباري، لابن حجر (٣٤٧/٥). وقال نحوه السخاوي (ت٩٠٢هـ) في المقاصد الحسنة، (ص٤٠٠، ح٥٨٥). والعجلوني (ت١١٦٢هـ) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٤/٢، ح١٥٢٩).

(١١٧) انظر بيانها في: استشارة المرأة في السيرة النبوية.

(١١٨) الجِدَةُ: هي الوسع والطاقة. انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص٧٧١).

(١١٩) أخرجه ابن ماجه، السنن، (١٢١٠/٢، ح٣٦٦٩). وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه، (ح٣٦٥٩).

(١٢٠)أخرجه أبو داود، السنن، (٥٠٢/٤، ح٥١٤٩). وسنده ضعيف، ولكن ما سبق، وما سيأتي يصحح معناه لغيره.

(١٢١)أخرجه أحمد، المسند، (٤٧٦/١٧، ح١١٣٨٤). وصححه لغيره محققوه.

(١٢٢) انظر: فتح الباري، (٤٢٨/١٠).

(١٢٣) هي أم عبد الله ليلى بنت أبي حثمة العدوية، ممن أسلمن وهاجرن أولاً، لها ترجمة في: الإصابة في تمييز الصحابة، (١٠٢/٨، رقم١١٧٠٨). ولها قصة مع عمر بن الخطاب قبل إسلامه، تقدمت (ص٢٣).

(١٢٤) أخرجه أبو داود، السنن، (٢٩٨/٤، ح٤٩٩١). وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود، (ح٤٩٩١).

(١٢٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٤٣/١).

(١٢٦) أخرجه أحمد، المسند (٣٨٢/٢٨، ح١٧١٥١) . وصححه لغيره محققوه.

(١٢٧) أخرجه أحمد، المسند (٣٨٠/٢٨، ح١٧١٥٠) . وصححه لغيره محققوه.

(١٢٨) يقصد التي أرضعته.

(١٢٩) أخرجه أحمد، المسند (١٩٥/٢٩، ح١٧٦٤٨). وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٧).

(١٣٠) المبتدأ والمبعث والمغازي، لابن إسحاق (٢٦/١- ٢٧).

(١٣١) ذكره البخاري، الصحيح (١٩٦١/٥، ح٤٨١٣) . معلقًا مجزومًا به.

(١٣٢) أخرجه أحمد، المسند (٣٥٦/٤١، ح٢٤٨٦٤) ، وصححه محققوه.

(١٣٣) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٦٥/٣، ح٣٢٤٩) . ومسلم، الصحيح (١٨٨٦/٤، ح٢٤٣٠).

(١٣٤) أخرجه البخاري، الصحيح (١٢٣٠/٣، ح٣١٨٥).

(١٣٥) أخرجه الحاكم، المستدرك (٤٣٨/٣، ح٥٦٦٦) ، وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال الألباني، التعليق على فقه السيرة (ص١٠٣) : "حسن صحيح".

(١٣٦) أخرجه البخاري، الصحيح (١٧٢/١، ح٤٣٦) . ومسلم، الصحيح (٢٢٣٦/٤، ح٢٩١٦) ، عن أم سلمة مختصرًا. واللفظ للبخاري.

(١٣٧) أخرجه مسلم، الصحيح (١٩٢٩/٤، ح٢٤٨١).

(١٣٨) أخرجه مسلم، الصحيح (٤٥٧/١، ح٦٦٠).

(١٣٩) أخرجه البخاري، الصحيح (١١٤٤/٣، ح٢٩٧٢) . ومسلم، الصحيح (١٣٧٢/٣، ح١٧٥٢) . واللفظ للبخاري.

(١٤٠) المغازي للواقدي (٢٦٨/١- ٢٧٠) . والطبقات، لابن سعد (٤١٤/٨).

(١٤١) ونحوه موقف أسماء بنت أبي بكر مع ابنها عبدالله بن الزبير عند حربه مع الحجاج، وغزو أم حرام بنت ملحان البحر، ومشاركة صفيه بنت عبد المطلب في غزوة الخندق وقتلها لليهودي، وتحريض الخنساء أربعة من أبنائها على القتال في القادسية حتى قتلوا، وغير ذلك.

(١٤٢) أخرجه مسلم، الصحيح (٢/٩٧٤، ح١٣٣٦).

قائمة المصادر والمراجع – لم تعتبر أل التعريف وابن وأبو ونحوها في الترتيب –

١. **الاتصال الفعال في علم الإدارة المعاصر وانعكاساته في السنة النبوية**، الحداري، د. مشعل بن محمد. مجلة الثقافة والتنمية، مصر، السنة (١٠)، (٣٣)، ابريل ٢٠١٠م، ٢٥١– ٢٨٤.

٢. **إدارة جودة الخدمات العامة المفاهيم وأساليب التطوير**، العتري، د.عوض. ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٦هـ.

٣. **الأدب المفرد**، البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد عبد الباقي. ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ.

٤. **أسس التفكير الإيجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء السنة النبوية**، الرقيب، د. سعيد. ط١، ماليزيا: المؤتمر الدولي عن تنمية المجتمع: تحديات وآفاق في الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٨م.

٥. **استشارة المرأة في السيرة النبوية**، الحداري، د.مشعل بن محمد. القصيم: مؤتمر المرأة في السيرة النبوية والمرأة المعاصرة، جامعة القصيم، إبريل/٢٠١٢م.

٦. **الإيجابية في السنة النبوية**، زراعي، م. سينا. نسخة إلكترونية، موقع موسوعة الكتب الإلكترونية، على هذا الرابط:http://www.ibooks.ae/?p=٦٩٣

٧. **اكتسب مهارات الذكاء الوجداني من سنة نبيك**– ﷺ – ، عجين، د. علي. ط١، عمّان: جمعية الكتاب والسنة، ١٤٣١هـ.

٨. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، أحمد بن علي. تحقيق: علي البجاوي. ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ.

٩. **التعليم وإشكالية التنمية**، الهنداوي، حسن بن إبراهيم. نسخة إلكترونية في موقع: إسلام ويب، على هذا الرابط:

١٠. http://www.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=A&BabId=٧&ChapterId=٧&BookId=٢٩٨&CatId=٢٠١&startno

١١. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي سلامة. ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

١٢. **الجامع**، الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين. (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

١٣. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين. ط١٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.

١٤. **السنن**، أبو داود، سليمان بن الأشعث. (د. ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، (د. ت).

١٥. **السنن**، ابن ماجه، محمد بن يزيد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، (د. ت).

١٦. **السنن**، النسائي، أحمد بن شعيب. تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة. ط١، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

١٧. **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال، علي بن خلف. تحقيق: ياسر بن إبراهيم. ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

١٨. **شرح النووي على مسلم**، النووي، يحيى بن شرف. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

١٩. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، الحميري، نشوان بن سعيد. تحقيق: حسين العمري وآخرين. ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٢٠. **الصحيح**، البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: د. مصطفى البغا. ط٣، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.

٢١. **الصحيح**، النيسابوري، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد عبد الباقي. (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٢٢. **صحيح الأدب المفرد**، الألباني، محمد ناصر الدين. ط١، الطائف: دار الصديق، ١٤٢١هـ.

٢٣. **صحيح سنن الترمذي**، الألباني، محمد ناصر الدين. ط١، الرياض: مكتب التربية العربي، ١٤٠٨هـ.

٢٤. **صحيح سنن أبي داود**، الألباني، محمد ناصر الدين. ط٢، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.

٢٥. **صحيح سنن ابن ماجه**، الألباني، محمد ناصر الدين. ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ.

٢٦. **صحيح السيرة النبوية**، الألباني، محمد ناصر الدين. ط١، عمّان: المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ.

٢٧. **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، محمد بن سعد. تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.

٢٨. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، العيني، محمود بن أحمد. (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٢٩. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، أحمد بن علي. (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، (د. ت).

٣٠. **فضائل الصحابة**، الشيباني، أحمد بن حنبل. تحقيق:وصي الله عباس. ط١، مكة: جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

٣١. **فقه السيرة**، الغزالي، محمد. تخريج: الألباني. (د. ط)، دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م.

٣٢. **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. تحقيق: محمد نعيم. ط٨، بيروت: الرسالة، ١٤٢٦هـ.

٣٣. **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، العجلوني، إسماعيل بن محمد. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

٣٤. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. تحقيق: علي البواب. ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ.

٣٥. المبتدأ والمبعث والمغازي، المعروف بسيرة ابن إسحاق، المطلبي، محمد بن إسحاق. ت: محمد حميد الله. (د. ط)، معهد الدراسات والأبحاث، (د. ت).

٣٦. **مختار الصحاح**، الرازي، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمود خاطر. (د. ط)، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ.

٣٧. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، محمد بن عبد الله. فهرسة: د. يوسف المرعشلي. (د. ط)، دار المعرفة، (د. ت).

٣٨. **المسند**، الشيباني، أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. ط١، بيروت: الرسالة، ١٤٢١هـ.

٣٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للفيومي، أحمد بن محمد. (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية، (د. ت).

٤٠. **معالم السنن**، الخطابي، حمد بن إبراهيم. ط١، حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ.

٤١. **المعجم الوسيط**، الزيات، أحمد الزيات وآخرين. (د.ط)، القاهرة: مجمع اللغة العربية، (د. ت).

٤٢. **المعجم الكبير**، الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي السلفي. ط٢، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ.

٤٣. **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، أحمد بن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د. ط)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٤٤. **المغازي**، الواقدي، محمد بن عمر. تحقيق: جونسن. (د. ط)، بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩هـ.

٤٥. **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. تحقيق: محمد الخشت. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.

٤٦. **مقدمة في الإدارة العامة**، القريوتي، د. محمد، ط١، عمّان، (د. ن)، ٢٠٠٦ م.

٤٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، المبارك بن محمد. تحقيق: محمود الطناحي وآخرين. (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.